مجدون

لحود 2

شيرهان البابلي

دعاء رسول الله:

«اللهم سخر لي جنود الأرض وملائكة السماء وكل من فوضته أمري»

وقال تعالي:

«ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا»

«سورة الفتح: الآية ٤ و الآية ٧»

مجدون

لحود 2

شيرهان البابلي

يوريكا للنشر والتوزيع

مصطفى، شيرهان.
مجدون. تأليف/ شيرهان مصطفى.
التصنيف : رواية
٢١ سم ، ١٠٩ ص
تدمك : ٨- ٣٣ - ٦٨٢٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨
تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف
يوريكا لخدمات النشر

01288627690
eureka4publishing@gmail.com

الطبعة الأولى
رقم الإيداع : ١٦٢٨٩

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من
الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات
إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

مقدمة

الخيال هو انطواء الحقيقة الكاملة.. لقد وضعت أول الكلمات في أكتوبر عام ٢٠١٩، وأرجو عند قراءة هذه الكلمات أن تضع الخيال وتمزجه بالواقع حتي تقتنع بالكلمات، هناك أحداث و إحصاءت منقولة وممزوجة بالخيال، أضع تاريخًا للكلمات من نسج الخيال حتي لا أقوم بذنب أعاقب عليه عند الخالق، أعلم أن الحقيقة تنطوي داخل الماضي و أكتفي مع كلماتي بكلمة الخيال، هناك ما يمكن أن يحدث ويمكن أن يكون هراء، لذا ضع ما تقرأه تحت بند الخيال، وأنت تقرأ باقي الكلمات.. اعتبرها أسطورة إذا أردت ذلك.

رقم ٢٠ والرقم ٦٩ عند بعض العلماء نذير شؤم وكذلك الرقم ٢٨ فاحذر و أيضًا ٢٦/٦/٦.. ١٦/٦/٦... ٦٠/٦/٦.

عندما تقرأ التاريخ ستصطدم من تكرار الأحداث والأرقام، هناك بشرًا لهم مميزات وقدرات غريبة وعلامات أيضًا ظهروا منذ أواخر القرن الماضي بالتحديد عام ١٩٧٩ويمكن أن يكون ظهورهم منذ قديم الأزل، لكن الأكيد هو تربص الشيطان بهم لينقسموا، ووضعوا لهم أسماء عدة، مقالات وأبحاث وأفلام وكتب أيضًا، إذا كان قلبك ضعيف ولا يقوى على الفزع فلا تقرأ، وإذا بدأت القراءة لا تنسَ أنك إنسان تفكر، انسَ النوع و أنت تسبح بالعالم الواعي، وتذكر أنك بعالم الروح، إذا أوهموك بجنود الشيطان قف لأن هناك مجدون، خلق الله الخير والشر.. والمجدون هم يد الخير بآخر الزمان، شاهد معي فيلمًا ممزوجًا بالخيال وتمسك بالعقل واجعل أول الكلمات لغزًا للعبة لنعلم غدًا حكمتها...

شيرهان البابلي

٢٠٢٠/١/١

المستقبل «فاطمة»

(نحن المجدون)..

كتبت أول كلماتي بأوراقي المبتلة المليئة بالغموض والخوف و التساؤل.. من هم المجدون؟.. جدي يوسف أعطاني صندوقًا صغيرًا كان دائمًا يعطيه الجد للحفيد الأكثر ذكاءً كما قال لي جدي، ولكن أنا أعتقد غير ذلك، وجدت هذه الكلمات منقوشة داخل هذا الصندوق اللعين ومعه أنت أيها القلم الحبيب وأول رسالة من جدي، قبل أن أقرأها أود الثرثرة معك قليلًا، أتعلم يا عزيزي لقد نشأت في بيت جدي أكثر من بيت أبي، لقد أعطاني حبًا وحنانًا لم أره في حياتي من أحد غيره بعد أبي محمود، لقد احتفظت بالصندوق دائمًا، وكنت أخشي أن أفتحه لأن جدي قال لي «إذا فتحتي الصندوق كوني مستعدة لما سيحدث» فكنت دائمًا لا أقوي علي فتحه، لكن اليوم بعد ذهاب زوجي وابني والانتهاء من أعمال المنزل، قررت أن أفتح الصندوق ليقيني أنني على استعداد تام لفتحه، لأنني أرى الموت يتسابق لما هو فوق الخمسين أو عالة على المجتمع بدون هوية أو انتهت رسالة وجوده كما يعتقدون، فابنتي تزوجت بالوطن وابني آدم يدرس الطب بالجامعة وزوجي له حياة أخري مع امرأة أخري، و عندما فتحت الصندوق ووجدتك أيها القلم الحبيب ومعك حبرك كأنه دماء دافئة تسري بالوريد أحسست بالوجود ووجدت خطاب لجدي قال فيه:-

«عزيزتي فاطمة...أنت تعلمين أنك الغالية لدي أكثر من ابنتي لأنك مثلي، يا حبيبتي الغالية.. الأحداث كانت تسير سريعًا ولا أعلم كيف حدث ذلك،لكن كوني مستعدة.. ستتغير قراراتك غدًا وستعلنين ثورة داخلية، وأعلمي أن القلم به سر عجيب أعطاه لي جدي وورثته عنه وأنت وريثتي، أعتقد بأنك تتسائلين لماذا لا أعطيه لابن خالك أو إحدي بناته؟، لأنهم ليسوا مثلنا، ستحتاجين وقتًا طويلًا لمعرفة الحقيقة التائهة، «حُجة» البيت في المنزل محفوظة ومسجلة أيضًا باسمك، وأنت تعلمين أن الجميع تعجب من ذلك، كما تعجبت عندما علمت أن جدي فعل معي ذلك أيضًا، لكن حظي كان

أصعب وأقبح لأنني عرفت بالصدفة، أما أنت لم أترك لكِ الصدفة، وستعلمين غدًا من هم المجدون، المهم لا تنسيني من الدعاء ولنا لقاء»

نظرت إليك أيها القلم كثيرًا بعد قراءة خطاب جدي، ولم أستطع أن أتمالك نفسي من الخوف منك وتركتك بجوار زجاجة الحبر اللعينة، أحضرت بعض الأوراق، لأكتب بك ووضعت الحبر وأمسكتك مرة أخري، لكن أحسست بنار تسري بجسدي، فتركتك خائفة وأخذت هاتفي لإقناع نفسي بأنه الأسرع، لكن سرعان ما أمسكت بك بين أناملي، لا أعلم ما بك أيها القلم اللعين؟.. جدي اختفي، هل أنت السبب؟ أتعلم أنني أتذكر آخر أيامه كنت في الثانية عشر، ارتديت أجمل ملابسي أنا وإخوتي وأوصلتنا أمي لبيت جدي، كانت تعمل مدرّسة، وتتركنا كل صباح مع جدي وجدتي.. بيتهم لا يبتعد عنا كثيرًا، بيت جدي من طابقين والطريق الفاصل بيننا وبين بيته أغرب طريق يمكن أن تمر عليه، أمي تخشاه كثيرًا، دائمًا كانت تسير من الجهة المعاكسة رغم الطريق العجيب أقرب كثيرًا، دخلت أمي في عجلة من أمرها حتي لا تتأخر عن العمل لكن جدي رفض ذهابها في هذا اليوم، جلست أمي على مضض وطلبت منا الخروج ليتكلم جدي معها لكن جدي أوقفها وقال لها:

- أريد فاطمة.

فطلبت أمي من إخوتي الانصراف وقال لها:

- خذي هذه الوثيقة إنها باسم فاطمة، لقد أعطيتها البيت.

- أبي أخي وأختي سيغضبون.

- إنه قراري وزوجك محمود يعلم بذلك.

- لكن...

ذهبت مسرعة لأحضان جدي، فابتسم وأخرج الصندوق وقال لي ألا أفتحه إلا عندما يكبر وألا أتركه أبدًا مهما حدث.. أخذت أمي الصندوق واحتفظت به وأعطته لي قبل وفاتها.

أيها القلم.. الآن سأمسك زمامك لأكمل كلماتي بك لكن ماذا أكتب؟ ما سرك؟.. سأبدأ بأخبار عالمنا الحالي لعل وعسي تنسب للتاريخ والذكري لمن بعدي.

****

بدأت الحرب الكيماوية في صغري وللأسف ليست الأولي وأنا أصفها بالحرب القذرة، الضحية نحن البشر. نحن من يدفع الثمن، نحن الدمى المتحركة بدون ثمن، قال لي أبي أن الدول أغلقت أبوابها لاحتواء الأزمة.. مات من مات وودعنا من ودعنا، لكن لم ينتهِ القتال أو الحرب القذرة الملطخة بدماء الأبرياء.. مُنع الحج والصلاة في المساجد، وأعتقد البشر أنها نهاية العالم تضرع من تضرع.. واستغفر من استغفر.. وفجر من فجر، الكثير أراد أن يقتني الحياة والحب قدر ما يستطع ونسي قيامته هو، قال لي أبي أن الأسوأ عندما منعت المساجد من الصلاة، بكى المشايخ علي المنابر والخوف بدأ بقلوب البشر أجمع، وبعد السماح خاف الجميع الاقتراب من المسجد خوفًا من الوباء، كانت الجمعة تقام.. والجامع قل عدد المصلين به، ولم أنسَ بعض كلماته حين قال:

- إنها ليست المرة الأولى في التاريخ، في السنة العشرين من كل قرن يبدأ معه الفزع والخوف من إعلان نهاية العالم، وظهور المجون ويُعلن البعض أنه المهدي أو الدابة أو المسيح، حتي الدجال ستجد من يعلن أنه هو وفي السادس والعشرين يعلن الكون ظهورًا جديدًا للأحداث والأكثر نكبة وبداية روح جديدة ذات علم، والثامن والستين تتوالي الأزمات والحروب، و التاسع و الستين كارثة الحروب تكتمل، نحن لا نعلم ما وراء الحكمة.

أتذكر عندما هجم بعض البشر علي البيوت للسرقة والفوضى والهراء بعد عام من تحكم الفيروس، أبي كان خائفًا علينا ومنعنا من الخروج، وبعد أعوام قليلة ابتدأت الهوجاء وحرب الشوارع وتدخل الجيش والشرطة لإنهاء المهزلة، والنتيجة تفشي المرض بصورة كبيرة بعدما أصبح وحشًا وفقدنا كثيرًا من البشر، أتذكر أنني سألته سؤالًا لم أنسه أبدًا..

- هل كان الفيروس مدبرًا؟

فقال لي أبي:

- مدبر من الرجيم.. وأنا أخشى عليكم غدًا من الفتنة العظمى بعد الطاعون، عام وسكينة.. ثم نشاط للفيروس وحصد الأرواح.

الاقتصاد يتهاوى بدأت الهجرة من الدول المتقدمة للدول النامية مما أدي إلى قلب الموازين، ولا أحد يعلم ما هو سر الهجرة الغريبة، وبعد ثمانية أعوام حدث أمر عظيم بدأت حرب مدمرة بين أصحاب العقيدة الواحدة بسبب اختلاف المذهب.. كانت تمهد منذ القدم من قِبل رجال الشيطان، ولحقتهم دول عظمى وانقسموا فيما بينهم، وانقطع الاتصال بين الدول وكان انتصارًا للدول السبعة الذين أصبحوا أقوى دول العالم واندمج خط النيل وليبيا والقدس بمصر وأصبحت مصر قوة عظمى، أمريكا وأروبا سيطر عليها الهوجائية والمرض وحرب الشوارع، تسع وخمسون عامًا كفيلة بقلب العالم أجمع، رخاء ومعمار وحياة لم يشهدها بعض القوى السبعة من قبل وانتهت الحرب، لكن الطاعون بدأ مرة أخرى يتحدى العلماء والشريحة المصنعة باليد، ليعلن الكيان عن شريحة جديدة لحصر البشر ومعرفة المعلومات الخاصة بهم لتقديم العلاج، أتذكر عندما ذهبت أمي بالأمر المباشر لوضع الشريحة، لأنها موظفة بالدولة وبعد فترة أصبحت إلزامًا على القطاع الخاص ثم طلاب المدارس، عندما جاءت الطبيبة لوضعها لنا كنت خائفة لكنها قالت لي جملة لن أنساها:

- لستِ مثلهم.

انتهت الأيام وعندما أصبح عمري عشرون عامًا، تعلمت الطب لكن العجيب تمسك العرب بمبادئهم خوفًا من غضب الله وإرسال الطاعون لهم مرة أخرى بشكل أكثر فتكًا، وانتهاء الزهو والتقدم، والمتحررين من العقائد والمبادئ ذهبوا إلى الدول الهوجاء، وعندما جاء الطاعون اليوم يعتقدون بأنه بسبب البعد عن الله، تزوجت بعد الانتهاء من الدراسة مباشرة، زوجي رجل كئيب

متسلط تزوجته بناء عن رغبة أمي كانت تقول في ذات مرة:

- أنا أعلم أن جيلنا سيحارب لكن الأجيال القادمة ستشاهد الدجال لا محالة.

وقتها كنت بعمر الرابعة عشر.. لا أتذكر غير توديع الأحبة ومنهم جدي لهذا كنت أخضع لرغباتها خوفًا من فقدانها أو غضبها حبًا فيها..

((أتعلم يا هذا سأجعلك تدخل الان الي الحوار مع بداية كل حكاية وأنا أحب ذلك لكن هل تعتقد أيها القلم من سيكون التالي بعدي ليقتنيك؟))..

وقفت عن الكتابة وأغلقت أوراقي لأجدك أيها القلم تكتب ما سألتك به منذ قليل يا لك من قلم عجيب مسحور!

- عزيزتي فاطمة قبل ذهابك سأقول لكِ من التالي.

هذه هي إجابتك أيها اللعين من أين حصل عليك جدي؟ أعتقد أنك لن تعلق بكلمات مفهومة، أتعلم أنني لم أعرّفك بنفسي بعد، رغم تيقني أنك تعرفني أكثر من نفسي، أعتقد بأن الوحدة جعلتني ثرثارة، أنا أدعى فاطمة.. ربة منزل منعزلة اجتماعيًا، لكن علميًا أنا طبيبة بشرية.. درست الطب كما قلت لك من قبل، تعرفت على زوجي بالصدفة عند صديقة أمي، كان قادمًا من الخارج من أقوى دول العالم وكان حلمًا لكل فتاة، يكبرني عزيز بثلاث أعوام، تزوجته وأحببته بعد ذلك، حب دام معي رغم الإهانة والضعف قبل أن أمسكك بأناملي الضعيفة، أتعلم أعتقد الآن بأنك لعنة تصيب كل من يمسكك.. تجعلني أبوح بما لا أريد، فأنا أشبه جدي كثيرًا أخذت منه لون العين الزرقاء والشعر البني والطول المتوسط.. كم أشتاق اليه، سأكمل معك الحديث عن عالمي.

انتقلت إلي مكان عمله بالصين، فكرت كثيرًا بالطلاق لكن منذ فترة طويلة كان الطلاق شائعًا بين العوام والفقراء، أما الأغنياء فصعب.. ما دام هناك مصلحة فلا طلاق، لكن في الآونة الأخيرة أصبح سهلًا للغاية حتى بدون موافقة الطرف الآخر، وفقراء اليوم غير أمس، الفقير هو فقير العلم وليس

فقير المال، الجميع يعمل لكن القليل يكمل دراسته بسبب التعليم التعسفي بالعالم أجمع واقتصار المدارس في يد الجهات الحكومية، اختفي التعليم الخاص جبرًا، فأصبح التعليم شاقًا جدًا على الكثيرين، فاكتفوا بتعلم الحرف والقراءة، الأغنياء يعتبرون الفقراء أغبياء.. لا يصح وجودهم بالمجتمع بسبب دخول الآلة مكانهم، وللأسف توالت الاعتقالات والاحتجاجات ضد الفقراء في بعض الدول العظمى، وبعضهم هاجر إلى بلدان الفوضى وأقاموا حياة اجتماعية متناسقة لهم، الفجور انتشر بين الفقراء أما الأغنياء قليل ما تسمع عن الفجور، وإذا حدث يتم تصفيته لنقاء العالم الفكري، اختفت الطبقة المتوسطة من المشهد بالعالم أجمع، أتعلم أيها القلم أن زوجي رفض عملي وكسر كل حائط أنظر له وجعلني أشبه بصخرة تجلس وسط الجمود، زوجي رجل متسلط متحكم بمعني الكلمة، أرى الخيانة ولا أستطيع الكلام، لا أنكر أنني أكرهه كثيرًا الآن ولكن السبب هو أن قلبي توفي منذ زمن، تركت نفسي لأرعى ابني وابنتي، فأبنائي هم الحب الصادق الحقيقي، كثيرًا أجلس وحيدة أتكلم مع الحائط، عائلتي مات منهم مَن مات وهاجر مَن هاجر ولم يتبقَ لي أحد بالوطن، أخذت الهاتف - بوابة الدجال إلى العالم- فأنا أُنفق وقتي عليه وقليلًا ما أقوم للصلاة، نحن الآن نصلي قليلًا.. حتي الأخلاق والتمسك بالمبادئ الشرعية متراخٍ جدًا، سمعت رجل دين يقول "إن الشاشة المتطورة والآلة هما بوابة الدجال للاتصال بنا، أمس اعتقدوا بأن الإنسان سيذهب إلى التخلف والجهل قبل النهاية، بالطبع كل الاعتقاد بذلك هراء" وقال الرجل متعجبًا أو مستهزئًا بتلك الأفكار «كيف يجمع الدجال العالم إلا من خلال شاشة تحكمه»

اقتنعت بكلامه.. وظهر معه باللقاء رجل غريب الأطوار قال:

- إنه ذهب إلى إحدى أماكن لعبدة الرجيم لاقتناعه الداخلي بأن هؤلاء البشر مرضى نفسيين، فأكمل كلماته قائلًا:

- رأيت رجلًا نحيلًا يرتدي عباءة سوداء يجلس على كرسي ضخم منحوت عليه شكل الشيطان، الفتي وجنته واسعة مكتوب عليها كلمات لم أستطع

فهمها كأنه ساحر أو جني حاكم، فنزل من على الكرسي لأجد الشيطان يجلس مكانه والفتي يتقدم أمام رجال يرتدون ملابسًا عصرية وبيديهم حواسب صغيرة، فيتحرك الفتي كالدمية إلى الكرسي ويقف أمامه مباشرة وخلفه الشيطان والمسافة قليلة بينهم ويتكلم وصورة الرجل تظهر على الهواتف.

وانتهى الحديث بعبارات غريبة كأنها شفرة يجب أن تحل «دماء على الأسفلت للمحيط الموازي لجهة الشرق.. والرقم ٦٠ أو ٠٦، وبعد ساعة من انتهاء البرنامج، أعلنت المذيعة ذات الوجه العابث وفاته منتحرًا بالنهر، قد أصابني الفزع مما سمعته و منذ ذلك الوقت حاولت جاهدة الانتظام في الصلاة والتقرّب إلى الله وقراءة القرآن، لكنني كنت أفشل فأخذت مسبحة بالصوت أضعها بمعصمي وأصبحت أعتاد على التمتمة بكلمات الله بعد ما خصصت ساعة باليوم للاستغفار، فكان تهذيبًا قويًا للنفس وعقدت نية الانتظام والتوبة لله، و الحمد لله انتظمت، أتعلم أمس اشتقت لأمي كثيرًا فدخلت حجرة زوجي لاستخراج نظارته المجنونة لأحضر صورة أمي بمخيلتي وأتكلم معها وألمسها فعلت ذلك.. كان جنونًا لكنه كان حقيقيًا، تكلمت معها قصصت عليها آلامي، تذكرت كلماتها كانت تقول دومًا إن الهاتف هو بوابة الدجال عندما كانت تجدني أنفق كل وقتي مع الهاتف، فكنت أقول لها «الهاتف بالفعل هو البوابة الأولى للدجال، لكن بوابة الدجال بها ما ينفع كثيرًا، فأنا أقرأ الكتب والروايات العربية وأذهب إلى البحث» فكانت تقول «وهي أيضًا القاتل الأول».

أتعلم يا قلمي العزيز.. النظارة أعادت الحوار مرة أخرى وجعلتني أبكي كثيرًا.. أتعلم الآن أنا أشاهدها بالشاشة الهوائية النقالة، و الهاتف أصبح أكثر تقدمًا.. صغير جدا واتخذ أشكالًا مختلفة.. خاتم أو قلادة أو سوار يوضع بالمعصم.. تظهر أمامك في الهواء شاشة تتحكم بها وتتصل بالشخص

ليظهر امامك في الهواء، تقوم بكل الأوامر، وتشغل جهاز التكيف والقهوة كل شيء جاهز عند الاستيقاظ العمل الوحيد هو شرب فنجان القهوة، أنا آخذ ما ينفعني وأترك ما يبعدني عن العبادة، عند البحث عن لا شيء كما أفعل دائمًا، أجد صوت هاتفي يحدثني ليساعدني بالبحث أو الاتصال وكل هذا وهو قلادة أرتديها لأبتعد عن الملل المتكرر بحياتي الرطبة، وأنا أبحث وجدت خبرًا عن اختفاء بعض الأنهار على وجه الارض بأنحاء العالم منذ زمن، فتسائلت هل يأجوج ومأجوج ظهروا إلى سطح العالم وأين هم؟ وهل عقدوا صفقة خبيثة مع الرجيم؟.

- أيها القلم كيف أصبحت أفكر هكذا؟.. سأغلق الأوراق وسأتركك دقائق لتجيب.

- لقد فتحت عين الصامت وأغلقت عين المنافق؟

- أنت غريب.. كيف يعقل هذا الجنون أيها اللعين؟، أعتقد بأنك لن تعطيني الإجابة، هل أصبحت مني حتي أفكر ما ستقرر معرفتي به.

- عزيزتي فاطمة أنا رفيقك إلى النهاية ليزول كل العتمة وتدوني الحقائق لتنفيذ ما أمرت به

- وما هو؟

- لا إجابة يا فاطمة.. اكتبي ماذا قرأتِ.. أكملي يا صديقتي ما تفكرين به واجعلي حبري دماءك حتي تري..

- قرأت مقالات عدة عن أنهار اختفت، وتعجبت عندما قرأت عن اختفاء نهر في أربعة أيام فقط هو "نهر سيلمز"، واختفاء بحيرات غرين لاند، البحيرة

الزرقاء، بحيرة ارال وآروميه، بحيرة الأوزبكية، بحيرة أوين، بحيرة فاغين، بحيرة أسال، بحيرة تشابالا، وجفاف نهر شبيل ونهر الراين ونهر كولورادو و نهر شيلا ونهر هوداسون ونهر دوميش ونهر المسيسيبي.. وأخيراً قل منسوب البحر الأسود كثيراً وقل منسوب نهر النيل، ودجلة والفرات، لكن المنطقة بها آبار كثيرة ومياة مالحة، فاستغلت تلك المناطق التكنولوجيا لتحلية المياه المالحة وتوصيلها وحفر الآبار، الغريب ظهور بحيرات بالمملكة، هل تعلم يا قلمي كم الكوارث الطبيعية التي حلت بنا في الأيام الماضية من إعصار وزلازل وكوارث الطبيعية من فيضانات الأنهار مثل نهر هوداسون وإقامة سد أدي إلى فناءه وجرائم القتل المتكررة بين الأقارب، أتذكر جارتي سوزان عندما وجدوها مقتولة، الشريحة فضحت الأمر، عند موت الشخص بساعة واحدة تتوقف بيانات الشخص من الداتا، جاءت السلطات و قالوا إن القاتل هو ابنها ينز وعندما حققت معه السلطات قال:

- اللعنة هي ما جعلني أرتكب ما فعلت.

والغريب أنه لم يُعاقب وتم تبرئته من الجريمة لأنه مريض نفسي وبعد عشر أعوام من جريمة القتل توفي بظروف غامضة وترك طفلًا عمره عامين بعد زواج لم يدم إلا سبعة أشهر، غير الفجور والزنا والحريات القاتلة والجحود من الأبناء للآباء ومن الآباء على الأبناء أصبح كثيراً بين الفقراء، أما الأغنياء قليلًا جدًا عندما تسمع ذلك عنهم، وإذا علمت السلطات تقوم بالاعتقال ولا تعلم مكان الشخص، لكنني أتسائل كيف غفلت السلطات عن نزوات زوجي مع موظفته بالفعل؟.. المال والممانعة هم السبب الأول لغض بصر السلطات عنه، إنهم لم يتركوا هفوات الأغنياء إلا أن فضح..

سأرتاح قليلًا لأكمل لك ما حدث معي بالماضي وندون معًا الآتي وأعلم أنني أشتاق إلى جدي كثيراً.. ألقاك غدًا.

في اليوم التالي:

صباح الخير أيها القلم العزير، أنا أجلس ومعي كوب من القهوة بدون سكر، فأنا امتنعت عن تناول السم الأبيض من السكر والملح والدقيق منذ جلوسي معك، كل من يراني يعتقد أنني بالعشرين حتي شيب الشعر قلّ كثيرًا جدًا.. لنترك الشباب والجمال بجوار الآلام ونكمل حديثنا معًا واجعل توارد الأفكار تأتي حتي أتذكر ما مضي.. أتذكّر حكاية أبا صديقتي.. كان يحكي معاناته هو وأشقاءه وكنت مستمعة جيدة بلا منازع قال «إن في طفولته كانت أمه تكوي جسده بالنار هو وإخوته إذا أخطأوا، وعندما اشتد عود أخيه الأكبر كان ينهال على أمه بالضرب، وفعل ما كانت تفعله به، قال إن أخاه ذهب بلا عودة بعد أن أبلغت الأم الشرطة عنه، ومنذ ذلك الوقت كفّت الأم عن الضرب المبرح للأبناء، ولكن المرض لم يتركها مما جعل أبا صديقتي لا يكمل تعليمه، ليس بسبب النظام الحالي لا، فكل من يمتلك المال يستطع التعلم في ذلك الوقت فكان السبب الفقر.

قال أن الحرب لم تترك إلا الخراب والفقر والمرض والموت لأكثر من نصف العالم، عندما أكمل الثامنة عشر عامًا، جُنّد إجباريًا في الحرب، وأمه توفيت وانقطعت أخبار أشقاءه عنه، وجد أخاه بعد خمسة أعوام مبتور اليد والقدم وأصبح شحاذًا ضعيفًا، بكي كثيرًا لحاله، وقال إنه لم يستطع أخذه معه بسبب التجنيد الإجباري، فأخذه لدار رعاية للحالات الحرجة وبالمقابل أعطاهم كل ما يأخذه شهريًا من الجيش، أنه أول جيل وضع له الشريحة الهرمونية المتمكنة القاتلة إذ خالف الأوامر، وقال أنه سمع في يوم هزة قوية أدت لسقوط مبانٍ كثيرة وما أشبهه لدمار الأرض، لكن الله كان دائمًا يقف مع البشر لوجود النورانيون، لا أعلم من هم وعندما سألته عنهم رفض الإجابة كأنه سر خاف أن يقوله لي، لكنه قال لي في يوم ما ستعلمين، كنت أحب أبا صديقتي جدًا، كثيرًا ما كان يذكرني بجدي يوسف رحمه الله، كانت تقول لي

صديقتي أن أباها أب بمعني الكلمة، رجل عطوف يملأ قلبه الحب والرغبة للحياة، لم أتوقع أن ينهي حياته بيده، وبعد وقت قصير توفت صديقتي مثل والدها برغبتها، فبكيت وتأزمت كثيراً مثل والدها برغبتها.. نسوا الدين والعقاب كما قالت أمي في ذلك الوقت عزلت نفسي وقتًا طويلًا بسبب موت صديقتي ووالدها، تذكرت اختلاف نظرة أمي عندما أنهت عمتي حياتها مثل صديقتي ووالدها، وقالت ليس لهم يد، عمتي كانت تحب شابًا مرموق المنصب متزوج من امرأة ذات سلطة قوية، وكما أن للحب أيامًا مثل السكر؛ له أيامًا مثل العلقم، لا تستطيع تذوقه أو تعيش وهذا الطعم المقيت في فمك، علمت زوجة الرجل بحب زوجها لعمتي، النتيجة انتحار عمتي بدون إنذار، كانت تضحك وتلهو ولا يوجد مبرز للانتحار، كانت أمي تحبها كثيراً، أمي قالت لي يومًا أن عمتي كانت تعشق السينما، السينما دار به شاشة كبيرة يلتف حولها المئات من البشر، يعرض بعض البشر قصة ببراعة متناهية، نحن اليوم لا يوجد في البلدان السبع المتقدمة شاشات العرض أو حتي فيلمًا يعرض قصة لأبطال من البشر.. ممنوع.. الشاشة النقالة للعلم والقراءة والاطلاع وكل ما يفيد البشر ونشر الإيجابيات، كل من يريد المرح يذهب إلى البلدان المستقلة عن العلم والعلماء، والفقراء الشاشة بأيديهم للعمل فقط.. وأتذكر أبي عندما قال أن الطاعون لم يترك أحدًا إلا خائفًا في ذلك الوقت ، واعتقد بعض المفكرين أن هناك من خلّق الفيروس للقضاء على الحريات أو السيطرة الكلية، بدليل هجرة الأثرياء إلى الدول النامية في ذلك الوقت، ويقال إن بعد خسارة البلدان المبتعدة عقدوا معاهدة على اقتصار العلم والعلماء والجيش والتكنولوجيا للبلدان السبع وإلا الحرب مجددًا.

صديقتي أن أباها أب بمعني الكلمة، رجل عطوف يملأ قلبه الحب والرغبة للحياة، لم أتوقع أن ينهي حياته بيده، وبعد وقت قصير توفت صديقتي مثل والدها برغبتها، فبكيت وتأزمت كثيراً مثل والدها برغبتها.. نسوا الدين والعقاب كما قالت أمي في ذلك الوقت عزلت نفسي وقتًا طويلًا بسبب موت صديقتي ووالدها، تذكرت اختلاف نظرة أمي عندما أنهت عمتي حياتها مثل صديقتي ووالدها، وقالت ليس لهم يد، عمتي كانت تحب شابًا مرموق المنصب متزوج من امرأة ذات سلطة قوية، وكما أن للحب أيامًا مثل السكر؛ له أيامًا مثل العلقم، لا تستطيع تذوقه أو تعيش وهذا الطعم المقيت في فمك، علمت زوجة الرجل بحب زوجها لعمتي، النتيجة انتحار عمتي بدون إنذار، كانت تضحك وتلهو ولا يوجد مبرز للانتحار، كانت أمي تحبها كثيراً، أمي قالت لي يومًا أن عمتي كانت تعشق السينما، السينما دار به شاشة كبيرة يلتف حولها المئات من البشر، يعرض بعض البشر قصة ببراعة متناهية، نحن اليوم لا يوجد في البلدان السبع المتقدمة شاشات العرض أو حتي فيلمًا يعرض قصة لأبطال من البشر.. ممنوع.. الشاشة النقالة للعلم والقراءة والاطلاع وكل ما يفيد البشر ونشر الإيجابيات، كل من يريد المرح يذهب إلى البلدان المستقلة عن العلم والعلماء، والفقراء الشاشة بأيديهم للعمل فقط.. وأتذكر أبي عندما قال أن الطاعون لم يترك أحدًا إلا خائفًا في ذلك الوقت ، واعتقد بعض المفكرين أن هناك من خلّق الفيروس للقضاء على الحريات أو السيطرة الكلية، بدليل هجرة الأثرياء إلى الدول النامية في ذلك الوقت، ويقال إن بعد خسارة البلدان المبتعدة عقدوا معاهدة على اقتصار العلم والعلماء والجيش والتكنولوجيا للبلدان السبع وإلا الحرب مجددًا.

السفر عبر الزمن

أتعلم أيها القلم الحبيب أنني أستيقظ كل يوم صباحًا في السادسة، أتوضأ وأحاول الصلاة، كنت من قبل لا أهتم بأمور العبادة لكن منذ فترة بسيطة قبل ملازمتك أصبحت أسير إلى العبادة.. المهم أنهي صلاتي، وآخذ فنجان القهوة وأجلس أمام الشرفة أستنشق الهواء وأشاهد جمال المعمار الشاهقة والعربات الهوائية المُعلقة، أخذت أتنقل بأناملي على الشاشة النقالة لأتصفح الأخبار المحلية والعالمية، قرأت خبرًا هامًا عن نجاح العلماء في السفر عبر الزمن بفضل عدسات النانو تكنولوجي، لقد قاموا بنقش رسومات بكهوف التاسيلي للتأكد من السفر عبر الزمن وشرح الرجل الرحلة قال «إنني في بادئ الأمر لم أستطيع التمييز، فأنا أرتدي العدسة وخوذة كرجال الفضاء لتحميني من الميكروبات والفيروسات، ولكن مع الوقت اجتمعت حواسي وبفضل إرشادات العدسة تمكنت من الصمود و السفر عبر الزمن «أنهي الحديث ليتدخل عالم آخر ويقول «الرحلة نجحت بسبب توصلنا إلى عمل مركبه تسافر إلى الزمن المراد السفر له مزودة بالنانو تكنولوجي وتقنية أخرى مكتشفة لا أستطع التصريح بها لدواعي أمنية وهي السبب الأول لنجاح تجربة السفر عبر الزمن».

شردت قليلًا لأجد الشاشة تغلق بدون أمر.. غريبة حقًا كأنها تقرأ أفكاري لأسأل نفسي، هل هناك حقًا ما يُدعى بالإسقاط النجمي؟ هل هناك سفر عبر الزمن؟ هل هناك علاقة بينه وبين البؤرة الصنوبرية؟ هل تجربة فيلادلفيا لألبرت أينشتاين حقيقة وتكتمت السلطات وقتها لسبب ما؟.. أسئلة توجد بعقلي لأنني الآن أفكر، أتعلم يا قلمي العزيز جدي قصّ حكاية عن طفلة حلمت أنها إحدي كهنة الفراعنة بعد وقوعها من أعلي الدرج، وفقدت الوعي، هل تعتقد أن روح الكاهنة دخلت إلى جسد الطفلة لتعيش مرة أخرى أم أن الأمر مجرد خرافات؟، وأكمل الحكاية بأن الطفلة البريطانية تزوجت من رجل مصري وطلقت وجلست بجوار الفرعون المحب وكانت تنقل للعلماء أسرار وأماكن المقابر، وقالت إنها كانت كاهنة في الحياة الماضية، لغز محير لكن أتعلم أنا علمت الأن لماذا تغيرت كنت أمس لا

أفكر لا أرى ما أراه اليوم بفضل وجودك يا عزيزي.. علمت لماذا نشرب المواد الغازية ويضعون لنا الفلورايد بالمعجون حتي تتكيس الغدة الصنوبرية، ونصبح بلا رؤية، هم فقط سيصبح لديهم الرؤيا والتفكير والذكاء، لذلك نجد معظم العلماء أطلقوا عليهم منجمون وينعتونهم بالكفر إذ تكلموا عن الطاقة، إنهم يزرعون السموم بداخلنا ونحن نتقبلها برضاء كامل عن طريق الإعلانات الوهمية، هذه البؤرة تعتبر بؤرة الذكاء عند البشر، إذا تكيست أصبحنا أغبياء، ابتعدنا عن الألبان الطبيعية لوضع الفورملين بها وبصورة ممنهجة جعلونا نشرب اللبن الأكثر خطورة، فأصبحنا كما أرادوا عقول مغيبة، أكلنا كل ما هو محفوظ لنصبح أغبياء، وإذا وجد بيننا الأذكياء رغم كل ما نأكله لا يتركونه أبدًا لأنه طفرة لا يجب الاستغناء عنها.. سأتركك الآن يا قلمي الحبيب فأنا أستمع لخطوات آدم.

- أمي.

- ماذا بني؟

- كيف حال الوطن؟

- جميل.. تقدّم كثيرًا، أصبح نظيفًا ومتقدمًا علميًا وطبيًا أيضًا.

- لم لا نذهب إلى الديار.. لا يوجد بها مرض، العالم هنا يُدمر والأبواب مغلقة عند الاشتباه بالحالات المرضية.

- نعم يا ولدي، كم أتمنى أن أرى أختك.

- نعم كم أتمنى أن أرها أنا أيضًا، لكن الهاتف قرّب المسافات، ولا تنظري لفقد الاتصال اليوم، غدًا سينصلح الحال.

- أبوك هو من فرض هذه الزيجة لأجل المصالح.

- أمي.. أبي صعب المراس قليلًا لكنه طيب القلب.

- يا بني.. نحن على مشارف قرن جديد، و النساء اكتسبن حريتهن وأصبحن

عالمات.

- ومنهن الضعيفات يا أمي.

- من تقصد بذلك؟

- لا شيء.

- أريد أن أعمل.

- كيف يا أمي؟.. في هذا الوقت؟

- نعم ولم لا؟.. أنا طبيبة.

- أنتِ لم تمارسي الطب.

- وما الضير بذلك؟.. سأعمل بالتمريض، ونساعد مَن مكثنا معهم عشرين عامًا، الوضع خطير.. اذهب أنت إلى الديار مع والدك.

- لن يوافق أبي على قرارك.. لما تنظرين إليّ هكذا يا أمي.

- لأنك مثله.. أختك تزوجت ولم أرها منذ عامين.. حتي الهاتف كل شهر مرة رغم توافر وسائل التواصل، أنت بين الجامعة والأصدقاء، الوقت الوحيد الذي اجتمعنا فيه عند غلق وسائل الحياة جلستم معي وفقدت الاتصال بأختك.

دخل زوجي في تلك اللحظة فقال آدم:

- أبي.. صباح الخير.

أجابه زوجي دون أن يرد تحيته:

- جميعنا سنغادر.. هناك طائرات مُرسلة إلى الديار للحفاظ على مواطنيها.

- أنا لن أغادر.

- ليس باختيارك.

- ولا بأمرك أيضاً.. نسيت أن أخبرك شيء.. لقد أتممت أوراق الطلاق وستصل لك في الديار.

تقافز الغضب في عينيه وقال:

- كيف تفعلين هذا بدون علمي؟

أجبته ببرود قائلة:

- عزيزي.. نحن بعالم الحريات.. وأحيانا العملات الذهبية تحل كل المشاكل.

- سأقتلك.

- أتظن أنه يوجد بقية للخوف بداخلي؟.. لن تستطيع فعل شيء.. لكن من لينا هذه؟ عشيقتك أليس كذلك؟.. اتصلت كثيراً بالمناسبة.

- سأتزوجها وآخذها معي.. وأتركك مع الوباء لتنعمي به.

صرخ آدم بفزع وقال:

- أمي تعقّلي.. أرجوك.

- هذا هو عين العقل يا ولدي.

- سأمكث معكِ.

- لا.. اذهب إلى الوطن، هيا لنحضر حقائبك.

ثم التفت إلي زوجي - سابقًا - وقلت:

- أما أنت فحضرها بنفسك.

مضى يتمتم بكلمات غير مفهومة لم أسمع منها سوى كلمة «شمطاء»..

- أرجوك يا أبي لا تضربها أو تهنها.. إنها منذ اليوم تحت مسؤوليتي.

- أنت أيها الطفل المدلل؟، لم تستطع أن تحضر متطلباتك بنفسك، لكن لم العجب ومن أنجبتك امرأة بلهاء.. فماذا ستكون أنت؟

- أبي كفى.. أفعلي ما يحلو لك يا أمي و سأحضر أنا حقائبك.

- اذهبي إلى العفن.

- لا أعلم من سيذهب قبل الآخر للعفن.

- اسمع ماذا تقول أمك؟.. تتمنى لي الموت.

- أبي انتهى كل شيء.. هيا.. معكِ الله أمي.

- وأنت يا ولدي.. التزم السلامة... وأنا لن أتركك حتى تذهب إلى المطار.. وبعد ذلك الله معي.

- ونعم بالله.. متي ستُقلع الطائرة يا أبي؟

- غدًا صباحًا.

نظر لي عزيز والغضب يتملكه، أحسست بيده وهو يلويها بقوة ليحذرني بعد ضرب وركلة بقدمه ويده.. أنا لا أرى منه إلا السوء وقال:

- أنتِ أمامك بعض الوقت لتكفي عن الجنون.. تضحكين يا بلهاء.

- أبي أرجوك كف عن الضرب و العصبية.. اتركها تفعل ما تشاء.. الشرطة يا أبي.

النقاش أيها القلم طويل مليء بالألم، أحسست بتملك عزيز لي و الكبر مسيطر على أفعاله، جعلني بلا حب.. بلا مشاعر.. أنا بالنسبة له مثل ما يملكه من أموال وعقارات، لكن الخطأ خطأي.. أنا ضعيفة لأنني أحببت رجلًا لم يحبني يومًا، لكن اليوم تخلّصت من مشاعر الغباء التي ارسلتني إلى الضعف والجهل ونسيان النفس، للأسف أصبحت أكره عمري معه، أنا على مشارف الخامسة والأربعين، لو تبقّي من عمري عشرة أعوام أو يوم

واحد فالأحق به هو أنا.. فهو لن يتنازل يومًا ما عن الأنا والعجرفة المصنعة، أنا سوف أعمل وأبدأ من جديد، وأستنشق الحرية حتي ولو تبقى لي يوم واحد بهذا العالم الكئيب.. وأحمد الله أنني دائمًا كنت أدّخر جزءًا لنفسي من العملات بدون علم عزيز.

غادر الجميع يا قلمي بعد تجهيز الحقائب، رفض عزيز الطعام، وآدم نزل على عجل من أمره ليودّع حبيبته، وأنا أتصفح الهاتف وأنظر إلى الشرفة وأشاهد التلفاز، يوم كئيب قررت النزول إلى الشارع، المدينة أصبحت كالشبح تري كل خمس أمتار شخص، المتاجر فارغة من البشر وهناك سلع متوفرة وأخرى لا، شاهدت امرأة تبكي على ابنتها ذات الثانية عشر ربيعًا، حدث لها تشنجات والدماء تنزف من الفم والعين والأذن.. نزيف.. هكذا ينتهي الحال ويتحول الفرد بدون عقل يسير وينسي أهله يأكل أي شيء أمامه كأنه حيوان أليف لكنهم يبتعدون عن البشر.. يهابون الداء الذي لا يرحم كبيرًا أو صغير ينهش الجميع.. وهو أكثر فتكًا من قبل كأنه تطوّر ليهزم البشرية رغم التقدم المزعوم أنهم مجموعة من الزومبي مثل أفلام الخيال العلمي لكنهم لطفاء لا يأكلون البشر، إنهم بلا عقل فقط.. إذ خافوا منك نفثوا دمائهم كأنه السلاح الحامي لهم لتأخذ العدوي، جاءت الشرطة وسيارة إسعاف لأخذ الفتاة، وأخذوا الأم للتأكد من سلامتها، ذهبت إلى البيت وتناولت الغداء وحيدة مثل كل يوم، تسائلت أين عزيز وآدم؟ منذ الأزمة وهم يمكثون معظم الوقت بالبيت، نعم يأكل كل منا وحيدًا، لكن كانوا موجودين معظم الوقت، أعتقد أنهم لا يريدون الحديث معي، وجعلي أفكر، ذهبت إلى النوم ولا أعلم متي حضروا إلى المنزل.

استيقظ الجميع صباحًا مترقبين الوقت، أحضرت الفطار وصنعت بعض الطعام للذهاب.. فأمر السفر والمرور إلى المطار سيحتاج وقتًا طويلًا نوعًا ما.

تركتك أيها القلم العزيز وأول مرة أشعر فيها بالوحدة، أخذ آدم الحقائب وقاد عزيز السيارة، فالسيارات منذ الأزمة أصبحت لا ترتفع عن الأرض إلا مترين فقط حتي تسهل عمليات الفحص، والسيارات الطائرة لرجال الدولة

والشرطة والعلماء والدبلوماسيين والرؤساء حتي ينجزوا مهامهم ووسائل المواصلات العامة للفقراء ممنوع اقتناء السيارات الخاصة، فهم يقودون الدرجات البخارية وسيارات صغيرة لا تكفي إلا لثلاث أفرد لعدم زيادة النسل في الأسرة الواحدة، للأسف يتعامل الفقراء اليوم مثل طبقة المنبوذين أمس بالهند ولكن بتحضر.

أتعلم يا عزيزي إنها المرة الأولي التي أرى فيها عزيز صامتًا و ينظر لي.

- أبي هناك دورية مرور.. توقف.

- كل متر دورية.. سنتأخر عن الطائرة.

- تريث يا أبي.. افتح نافذة السيارة لننتهي سريعًا..

- تعتقد ذلك وهذه الكئيبة معنا.. لم تنظرين إليّ هكذا؟ لم أتيتي معنا؟، لأجل ابنك.. كاذبة، ستتركينه الآن.. تذكّري ذلك.. لا تنظري لي هكذا أيتها البلهاء الكئيبة.

يتكلم ويرد على نفسه وأنا أنظر له بلا مبالاة.. ليرد آدم عليه ويقول:

- أبي.. أرجوك.

لم يكف عن الذم حتي بعد توسل آدم حتى أشار الضابط بيده للانصراف بعد التأكد من خلو الدم من الأنف أو الفم أو الأذن هذا هو الفحص الدوري الدائم.

- الحمد لله.

- أبي انظر.. الرجل يبصق دماءً على الشرطي، يا الله إنهم يقتلونه.

- أحسن شيء قاموا به، إنهم يذهبون للمحرقة وبجزيرة الموت عند الإصابة لذلك يهربون، إلا المجنونة أمك تريد الذهاب إلى الموت.

- لكن هناك من يهرب بالمصاب.

- مجانين مثل أمك.

- أمي ما زال الوقت معانا.. أرجوكِ إن الوقت غير مناسب للانتقام.

- أنا أنتقم يا آدم.. انظر إلى وجهي.. كم مرة رأيتني أبكي من أفعال أبيك.. اسمع أنا قررت ولن أرجع بقراري أبدًا حتي ولو كان الموت الآن، هنا أمامي، نعم أنا مللت وتعبت من تحكم أبيك.

نظر لي عزيز باستهتار وقال:

- أنا أتحكم بك أيتها الكئيبة لأنك لا تقوين على فعل شيء إلا الخدمة فقط، أنتِ خادمة، انظري إلى نفسك في المرآة، هل نسيتِ عمرك والتجاعيد وهي تخطو على وجهك الكئيب.

- تجاعيد؟!.. الحمد لله كل من يراني لا يستطيع تخمين عمري الحقيقي.

- مجاملة أيتها البلهاء.

- أبي أرجوك لا تزِد التوتر.

- أزيد ماذا؟ أجننت؟!.. من تكون هذه لأتوتر من أجلها؟.. إنها لا شيء، إنها مرحلة في حياتي، لكنها زادت عن الحد، انظر إلى أمهات أصدقاءك وأنت ترى نساءً بمعني الكلمة، لا امرأة كئيبة صامتة مشمئزة، تبكين؟.. ابكِ كي ترجعي عن قرارك الأبله، وتعلمين قدرك.. أنت تابع لا يقوى على مواجهة الحياة وحيدًا.

- اصمت.. أنا عند قراري ولن أرجع فيه.

- أمي أرجوكِ كفى عنادًا.

- اتركها.. أتعلمين شيئًا؟!.. أتمنى أن تنخلعي من الدنيا لأنك امرأة شمطاء.. أنانة.. بلهاء.. ضعيفة.. لا تقوى على حب نفسها، أتعلمين أحببت عليك نساءً كُثُر جميعهن أفضل منك، فأنتِ لا شيء، أنتِ نقمة بحياتي، سامحك الله يا

أبي لأنك وضعت يدك بيد المجنون الكئيب خالها.

- لا تُهِن خالي.. فهو عند الله.

- لن أسامحه لأنه زوجني بغبية مثلك، انظري إلى حالك وإلى حال أختك وأنتِ تعلمين أن حظي السيء جمعني بك، زوجوني الغبية وتركوا الجميلة الذكية.

- كيف تقارن بيني وبينها؟، لقد كانت مجرد طفلة في ذلك الوقت.. أنت مجنون، أتعلم؟!.. أنت محق.. دائمًا ما تقول لي أنني مرحلة يا عزيز وحان الوقت لإنهاء تلك المرحلة.

- من المجنون يا خالية من المنطق والكلمة والفعل، أتعلمين المال بيدك يصبح ترابًا محفور به الكره والغدر والخيانة، اذهبي إلى التعفن عند من أنجبك أيتها الحمقاء.. تبكين؟!.. أنتِ لا شيء في نظري، أنتِ ذبابة.. خرقاء.

- لا تُهِنها يا والدي كفى.

- بالفعل كفي هيا بنا لنتركها إلى الدجى يأكل منها رويدًا رويدًا.

«نزل إلى الطريق أمام المطار وهو يريد الانقضاض علي بالضرب، إلا أن آدم منعه وصرخ فيه قائلًا:

- أبي لا تفعل، أنت تعلم القانون.

- تبًا.. هيا لنغادر من أمامها، حتي لا أرتكب جرمًا لا يستحق أن أنهي حياتي من أجله.

- أمي اذهبي إلى البيت.

- ليس قبل أن أطمئن عليك أولًا بأنك غادرت.

- سأفتقدك.

- وأنا أيضًا.. لكن أعلم الآباء يفتقدوا الأبناء وهم بجوارهم.. تمنى لي السعادة بني، أنا أنتظرك عندما تتحسن الأحوال.. سأنتظرك يا آدم.

- نعم بالتأكيد يا أمي.

- الله معك.. تناول بعض الطعام.

- هيا.. إنهم يعلنون عن الرحلة، هيا.. اترك هذه الشمطاء المجنونة.

- سأفتقدك أمي.

ذهب روحي إلى الأمان كما أعتقد، أتذكر يوم إنجابي له، خضعت لعملية قيصرية، وبعدها خلدت للراحة يومين فقط واليوم الثالث أجبرني على النهوض والعمل بالبيت، طلبت منه أن يجلب خادمة لتساعدني؛ فنحن أغنياء لكنه رفض، سألت نفسي كثيرًا لم صبرت وأنا متعلمة؟.. كأنه سحرني لا أعلم، عندما كنت أقصّ على أختي ما يحدث، كانت تتعجب وتقول لي نحن سنذهب إلى قرن جديد ومازال يوجد نساء مثلك في القرن التاسع عشر، كنت أرد بسذاجة عليها..

- أنا أحبه.

فكانت تضحك ساخرة وتجيبني قائلة:

- تحبين مَن يهينك ولا يحبك ويخونك أيضًا؟.. أتعلمين هو عنده حق يفعل ذلك، أنت مَن جعلته مغرورًا.. وأحرقتِ نفسك ظلمًا.

صدقت لكن.. كل ما أعلمه الآن أنني أكرهه، ابتعدت عن المطار وكأنني أفقد روحًا لي، ذهبت لشراء بعض المستلزمات الوقائية وبعض الطعام، والكشف الدوري لا يكف، السلع الغذائية قلّت لحد الانعدام، الجميع بحالة من الفوضى والقلق، رأيت أمامي شغب وسرقة الطعام بالمتاجر و البعض يترقب بخوف ذهبت مسرعة إلى السيارة حتي لا ينالني السوء كما تمنى لي عزيز.

أصعد الدرج والقوات تقف أمام منزلي.

- ماذا يحدث؟

- أأنت فاطمة؟

- نعم.

- جاءنا إخطار من زوجك أنك مريضة بالجرثومة.

- لا.. أنا بخير.. ولم تظهر عليّ أية أعراض.

- ستخضعين للكشف.

- تفضل.

نظر لي بصرامة وقال:

- ليس هنا.. بالمعمل.

أجبته مستنكرة:

- لماذا؟.. حرارتي طبيعية، ولا أنزف أية دماء.

- لا أعلم لماذا؟.. لكنها الأوامر.

- يا له من رجل وقح.

- بالفعل للأسف زوجك رجل وقح، لكنه ذو منصب مهم.

- نعم.. لكنه ظلم.

- سيدتي أرجوكِ كفى كلامًا.. لا تعرضيني للمساءلة.

نزلت معهم الدرج بعد تغطية رأسي بكيس أسود وربط يدي من الخلف.. شيء مهين حقًا لأي مريض، لكن حقهم حتي لا ينتهي الوعي البشري ونصبح

مخلوقات حيوانية.. ذهبت إلى المعمل وظهرت النتائج سلبية، وطلبت منهم التطوع للعمل، وأوضحت لهم أنني طبيبة، لكنني لم أمارس الطب منذ تخرجي من الجامعة.. لم يمانعوا لسبب نقص الأفراد في طاقم التمريض، وبالفعل تقبلوا وجودي بأمر من دكتور كين بقبول جميع المتطوعين، ذهبت إلى البيت للاستعداد غدًا لاستلام العمل، انتهي اليوم سريعًا واستيقظت مبكرًا وتناولت الفطور، وكانت أول مرة أستقل فيها السيارة المحلقة بالهواء، إنها أسرع من السيارة العادية.. السائق آلة لا تتكلم.. وضعت يدي أمام الجهاز حتي يسمح لي بالركوب، جلست بجوار فتاة بعمر هبة ابنتي وتبادلنا أطراف الحديث، أخبرتني أنها عاملة بالمشفى مكان عملي الجديد، وفجأة وجدنا شاب ظهر عليه علامات المرض، طنين الأذن والصراخ والدماء تنزف من الأنف بغزارة، الجرثومة المصنعة التي أهداها العلم كسابقها للبشرية لكنها الأكثر فتكًا وإجرامًا، الفتي التف على يده وعنقه الحديد، الكراسي مجهز لهذه الحالات وللأسف قيد من حوله للفحص، وأحمد الله أنني كنت في أول صف ولست بجواره.

المشفى

نزلت من السيارة مسرعة و ذهبت إلى المصعد ووضعت يدي أمام الجهاز، فالبشرية بعد الطاعون الأخير، رفض العلماء بصمة الأصابع واكتفوا ببصمة الشريحة، تضع يدك مكان الندبة أمام جهاز البصمة مبتعدًا حوالي سنتيمتر لقراءة البيانات والسماح لك بالدخول، واستلمت ملابسي ودخلت غرفة التعقيم، حقًا ما يؤلم لحظة التعقيم، ارتديت خوذة حديدية و الحلة الواقية للحماية.. أصبحت شبه آلة.

أول يوم عمل، كل شيء جامد، الكلام بين الجميع قليل، هناك حالات من الوفيات ليست كثيرة، لكن غرفة العزل مليئة بفاقدي العقل، يأتي في آخر اليوم بعض الرجال لأخذهم، لا نعلم إلى أين يذهبون بهم؟.. أعتقد أن الفزع سيقتل الجميع قبل المرض، الكل خائف لكن ما آلم قلبي؛ هو هذا الطفل الصغير، يواجه صعوبة بالتنفس وأشعر به يمد يده لي، فأمسكتها كأم وتبسم لي وودّعني بسلام بعد أن حقنه الطبيب بحقنة الموت، قلبي يؤلمني حقًا، الجميع خائف، لكن أعتقد أن الأمر أكبر من أن تنتهي البشرية بجرثومة، فهي علامة ضعف البشرية حتي يوحّدوا الخالق قبل اكتمال العلامات لا أكثر..

- السلام عليكم فاطمة.

- يا الله.. أنت تتكلم العربية.

- نعم أنا الدكتور علي.

- أهلًا وسهلًا بك سيدي.

- حافظي على سلامتك، أنا أراكِ تختلطين بالمرضى دون خوف.

- نعم، العمر واحد.. ولن ينتهي العالم بجرثومة، أنا أتألم لحالهم.

- لكن يجب توخي الحذر لأجل الأبناء.

- أبنائي غادروا البلاد.. عادوا إلى الوطن.

همهم دكتور علي مشفقًا، فهو بعمر أختي سوسن.. كم أشتاق إليها! سوسن تصغرني بعشرة أعوام، أنا مَن أشرفت على تربيتها، تركتها بعمر العاشرة، وتزوجت شابًا ذكيًا من مكة..

- أين أنتِ يا فاطمة؟.. الشرود ممنوع، هيا.. اذهبي إلى العمل.

ابتسمت له ابتسامة مليئة بالود والأخوة في آن واحد، ذهبت إلى العمل بدون ملل حتي فقدت التركيز، و ظهر علي الإرهاق بكل حركة تخطوها قدمي، فطلبت مني مديرة التمريض الذهاب للراحة، وضعت لي زميلة المطهرات بقوة على الحلة الواقية، دخلت حجرة الاستراحة، ونزعت الحلة الواقية، أشاهد وجه مسخ ملئ بعلامات كالحرق، تؤلم قليلًا من الحلة والخوذة الحديدية، يوم واحد كان كفيلًا بعذاب التمريض والأطباء، النوم والراحة يهربان مني، أخذت الهاتف بين أناملي لأقرأ رواية أو كتابًا أو أبحث عن اللاشيء، فوجدت خبرًا قديمًا عن اكتشاف سور مصنوع من الحديد والنحاس، و اكتشفوا هدم جزء كبير منه في اليوم التالي بعد اكتشافه، ويعتقد رجال الدين العلامات الكبرى بدأت وأن يأجوج ومأجوج خرجوا إلى الأرض بعد عمل الصفقة الرخيصة مع الرجيم، لكن إذا ظهروا أين هم الآن؟ وهل جفاف الأنهار هم السبب فيه؟ تذكرت أبي عندما تكلم عن مهندس أخذ أوامر بحفر نفق ووجد مخلوقات غريبة الشكل أطلقوا عليهم الرماديين وأن كبار العلماء بالعالم المتقدم في الماضي، قاموا بعمل معاهدة معهم وعندما فضح المهندس سر الرماديين قامت السلطات بقتله، قالوا بأنهم مخلوقات أكثر تنورًا وعقلًا منا، ومنهم من قال بأنهم الجن، أما أبي قال بأنهم من نسل ابن يافث يأجوج ومأجوج وربط ظهورهم بجفاف الأنهار والمياه علي وجه الأرض، وسألته:

- كيف يعقد يأجوج ومأجوج صفقة مع البشر؟

أجابني قائلًا:

- إذ كان المحارب هو الرجيم؛ فلم لا؟، ما داموا سيأخذون ما يريدون حتي تقوى شوكتهم.

فقلت له:

- لا أعتقد.

فأجابني أبي بحكمة:

- غدًا سيظهر ما يفعله الرجيم، الرجيم يعقد الصفقة لينتصر ويوهم أبناءه من البشر وهم الخروج خارج الكوكب إلى كوكب المريخ وتناسوا ان هذا الكوكب هو مدفن، لهذا شياطين الإنس والجن أبناءه يمهدون له ما يريد.

صمت قليلًا ثم أردف وقال:

- لا تتعجبي من خرف بعض الكلمات التي تخرج من الأفواه أحيانًا.. فنحن بالجنون نعشق.

انتهي الحوار وأنا أتخيل شكل الرماديين، هل هم فعلًا من ولد يافث أم من الجن؟، إذا كانوا من الجن فالله جعل بيننا وبينهم ستارًا لحجب الرؤيا أما لو كانوا من ولد يافث، فنحن في مخطط لبداية النهاية منذ أكثر من قرن من الزمن.

تذكرت رجلًا كان يقص عن حياته في أرض الجان وكان يقول أنهم تحت الأرض وسماءهم زهرية اللون، عالمهم أكثر تقدمًا طعامهم مختلف، حقًا هناك أشياء يشت منها العقل فعلًا..

***

آدم:

يتكلم أبي معي بقوة ولا يكتفي بذلك لقد مسك يدي وكاد أن يوقعني أرضًا.

- كيف تترك أمك تفعل ذلك؟

- إنها تعذبت كثيرًا لأجلنا وأنت يا أبي لك عالمك الخاص.

- ماذا تقصد يا ابن الشمطاء؟

- أبي لا أسمح لك بسب أمي، لقد قررت أن أتركك تركب الطائرة وحيدًا وأنا سأذهب إلى أمي.

- إذا فعلت ذلك سأقتلك.. أنا بقيت مع هذه الشمطاء لأجلكم لا لأجلها، زيجة مفروضة من أجل العادات والتقاليد.

- كما فعلت مع أختي هبة.. أبي أنت تكره أمي.

- من ساعة فقط كنت أكرهها عندما كنتُ أنظر إليها، كنت أكره الطعام من يديها؛ لا طعم له لا لون، كنت أكرهها عندما أسمع صوتها.. أشعر بالاشمئزاز، أما الآن يوجد بداخلي شيء ينتزع مني، أنتم معي ولا أعلم ما هو ذلك الشيء.

- أريد أن أذهب إليها.

- لا أنا سأطمئن عليها وأعدك أنني سأذهب لإحضرها ولن أتركها.. هيا لننتهِ.

أنهينا أوراقنا والكشف الدوري وصعدنا إلى الطائرة، قالت المضيفة:

- برجاء ربط الأحزمة.

ووجدت أبي تدمع عيناه فجأة، أبي غليظ القلب القوي يبكي؟!، فنظرت له مربتًا على كتفه فقال:

- أتعلم لقد فعلت شيئًا شنيعًا لأضيف ظلمًا جديدًا إلى ظلمي لها.

- ما هو يا أبي؟.. تكلم أرجوك.

- أبلغت السلطات بأنها مريضة.

- لماذا يا أبي؟ لماذا؟

- أنا آسف يا ولدي.. اتصلت بصديق لي وسوف يتابع الأحداث ويخبرني.

- سنجلس بالطائرة كل هذا الوقت من دون الاطمئنان عليها؟!.. لماذا لم تتركني أذهب؟ لماذا لم تقل لي إلا الآن؟

- آسف خشيت أن تتركني، وأنا أخشي عليك من المرض والمجهول.

لم أستطع الكلام معه كنت مُلجم، وأخذت قرارًا بالعودة بعد النزول من الطائرة وبالفعل انتهت الرحلة وذهبت مسرعًا بدون النظر إليه وهو يصيح قائلًا:

- يا آدم.. انتظر يا بني.

وأنا لا أبالي لكن للأسف مُنع الطيران إلى هناك مرة أخري، تملك الألم من قلبي، وجدت الدموع تنهمر مني كطفل صغير، لأجد أبي يربت على كتفي ويقول:

- لا تبكِ.. أنت رجل.. سوف أعود لها بأسرع وقت.

بعد خروجنا من المطار سمعنا أن هناك حالة رهيبة من الفوضى، لا مرض لكن فوضي ببعض الأحياء والأماكن، نعم أعلنوا أن البلاد بها عدد من الحالات لا تتعدي الألفين ومن بينهم عشرون حالة من الوفيات ومنذ ذلك الوقت والفوضى حلت، والجميع إما يسرق سلعًا غذائية أو قاتل، لا محل للقوانين رفض أبي أن يصدق هذه الكلمات، و استأجر سيارة لبيت أختي لكن الرجل قال لأبي:

- لا تذهب إلى هذا الحي يا سيدي، فهو مليء بالنهب والسرقة والتعدي على الممتلكات، زادت حدة رجال الشرطة والاعتقالات أصبحت لا تُعد إلى أن امتلأت السجون وعكست العيون واغلقوا السمع وأفرجوا عن الجميع وحلت الفوضى.

- أين القانون؟ من يتعمد الفوضى يُعاقب.

- المشكلة الأطفال والعجائز وقلة الموارد، نحن أُغلق علينا كل شيء، أنتم آخر رحلة عائدة من العالم أجمع.

نظر أبي له بحدة وقال:

- اذهب كما أخبرتك.

- لا أستطع سوف أوصلك لأقرب مكان وأنت تكمل طريقك.

صمت أبي مفكّرًا بالموافقة... لكن ما رأيناه بعد النزول كان كفيلًا بأن نفرغ أمعاءنا.

المرض انتشر لكن الأصعب الهوجاء، المرضى مسلوبي العقل، بسبب الفزع عامًا تلو الآخر، كان كفيلًا بتدمير كل شيء،المرض يُذهب العقل وينتشر سريعًا، لكنه ليس مرضًا عضويًا، فقط إنه مرض الهوجاء، وفجأة أحد ما ضرب أبي علي رأسه بعصا، وحاول ضربي أنا أيضًا إلا أنني قاومته، وقتلته نعم نحن بالفوضى يا هذا، أسندت أبي ووصلت لبيت (هبة).. لم تكن أختي الرقيقة التي أعرفها.. صارت امرأة كئيبة، شعثاء الشعر.. نحيلة.. ووجها مليء بالندوب، أبي أصابه الذهول والخوف الشديد والضعف في آن واحد، قالت:

- لقد أجهضت وزوجي هرب، فكنت أنزل إلى الشارع لأبحث عن طعام ولن أستطيع أن أقص عليك ما حدث لي بالشارع، كنت أذهب إلى بيتي بالطعام وأنا شبه ميتة، فكنت أحافظ على بقايا الطعام حتي لا أنزل مرة أخرى إلى الشارع، عندما علمت بمرضي خشيت النزول نهائيًا، فأنا أعلم النهاية.. زوال العقل.

- إنها تعاني من المرض اللعين يا أبي.

- ابنتي، ماذا حدث لكِ؟

- ضرب وإهانة دائمًا بدون توقف منذ بداية الأزمة، السوق شُلت حركته والمال قل ونزواته لا تنتهي، منذ شهر أصبح صعب المراس، جاء وانهال عليّ

بالضرب والشتائم، أجهضت وذهب بلا اكتراث لي أو للجنين.

- أين والده وأهله؟.. لم يخبرني أحد بذلك.

- لا أعلم.

- اتركها ترتاح أبي.

سألت هبة عن رأس أبي المربوطة بقطعة من القماش قائلة:

- أبي.. ما بك؟

- لا شيء.

- الفوضى.. أحدهم ضرب أبي بالعصا على رأسه.

- خذي قسطًا من الراحة.

- سوف تلتقطون العدوى مني.. ارحلا.

- لا تخافي.. تعالي يا ابنتي في حضني.

- لا يا أبي.. ابتعد عني.

- لا تخافي ستتعافين إن شاء الله.

- العالم أجمع يعاني من هذا المرض اللعين.

- تعالي إلي.. ابكِ.. أنا ظالم.. ظلمتكم جميعًا.. أحببت نفسي ومصالحي أكثر منكم.

- لا تقل ذلك.

ونظر لي أبي وقال:

- آدم.

- نعم يا أبي.

- يجب أن ننزل جميعًا من هنا إلى بيتنا القديم.

- لا يا أبي.. سنُقتل.

- لا تخافي.. إنه مجرد مرض لا أكثر.. وسيوجد له علاج إن شاء الله.

- أين سيارتك؟

- بالأسفل.

- آدم خذ المفتاح وابحث عنها.

- حاضر أبي.

- لا تتأخر يا بني.

سألت هبة أبي قائلة:

- أين أمي يا أبي؟

أجابها بحزن:

- ليس الآن يا بنيتي.

- أمي ماتت؟

- لا.. عفاها الله.. سأشرح لك كل شيء بعد قليل.

خرجت من المنزل المكوّن من طابقين، كانت السيارة أمام المنزل مباشرة، وتساءلت لمَ لم تتركها هبة في حديقة منزلها، بالتأكيد فرغت الطاقة منها وبالفعل توقعي كان صحيحًا، لتواجهني مشكلة جديدة وهي البحث عن طاقة في وسط هذه الفوضى والهوجاء، وجدت سيارة بعيدة قليلًا عن منزل هبة وكسرت الزجاج للبحث عن مفتاح الطاقة وبالفعل وجدته، أنا الآن

قاتل وسارق.

- أبي.. آدم ينادي.

- هيا يا ابنتي.. لا تأخذي شيئًا.

- حاضر يا أبي.. فأنا لا أملك شيئًا على أية حال.

- لا يهمك عزيزتي غدًا سيكون أفضل بإذن الله.

ذهبنا جميعًا إلى السيارة بأعجوبة، المشكلة بعض الناس أخذوا العصا وكسروا زجاج السيارة لأنهم اكتشفوا سرقة الطاقة،أصبح الجنون بكل مكان، الجرثومة لم تقتل البشر إنما الفوضى وغلق العالم هو القاتل الأكبر، فأصبحت الرؤية سيئة، لكن الحمد لله خرجنا من حي الفوضى، ذهبنا إلى بيت أبي الكبير وبه حديقة، لكن وجدنا الحارس وزوجته وأبناءه جميعهم موتى، ارتدينا الأقنعة والقفازات ووضعنهم بسيارة هبة، أبي يقول إنهم ماتوا جوعًا وليس بالمرض، وابتعد أبي بهم أكبر مسافة، وأخذ أبي مفتاحًا من الطاقة من السيارة، دخلت قبو المنزل لأجد القبو مليء بمفاتيح من الطاقة، لكن لا يوجد طعام أو مطهرات، فصعد أبي مع هبة إلى غرفتها، وذهبت معه لنحضر الطعام، من الخارج وإلا سنموت جوعًا، لكن كل المتاجر فارغة، لا طعام وفوضي وحرب بين الأفراد لأجل الطعام، فقابلنا سيدة قالت لنا:

- أتريدون طعامًا؟

- نعم.

- كم تدفع؟

- ما تريدين.

- قطعة من الفضة.

- خذي.

- اذهب من هذا الطريق هناك حي، ولا تخاف هم بشر ودودون مؤمنين بالقدر وبالتأكيد ستحصل على ما تريد.

أبي مهوس بجمع المال من العملات الذهبية والفضية كان يكتنز دائمًا المال بسترته، ويحتفظ به بالبيت بخزانة سرية ليتهرب من مسألة الدولة والضرائب، بالمناسبة أبي تاجر سلاح، فهو عالم كيميائي ومهم جدًا عالميًا وهذا ما اكتشفته بعد ذلك، ولكنني التزمت الصمت ولم أواجهه بما علمت، المهم دخلنا إلى الطريق ووجدنا قرية غريبة كأننا بالقرن السادس عشر يرتدون العباءات البيضاء القصيرة واللحي طويلة مهندمة ورائحة المسك تفوح بأرجاء المكان الغريب.. إن المسجد بجوار الكنيسة والمعبد اليهودي والنساء جميعهن يرتدين زيًا طويلًا وغطاء رأس بسيط، القس يبتسم لي فبادلته الابتسام.. إنها ابتسامة الود والاطمئنان، نادي علينا شيخ لحيته بيضاء يبدو أنه كبير بالعمر، دعانا للدخول إلى المسجد ووجدنا بشرًا يتعبدون ويستغفرون دائمًا، قال الشيخ:

- نحن منعنا وسائل الموصلات والشاشة النقالة، ونزعنا من أيدينا الشريحة.

فنظرت إلى يدي ويد أبي نعم الشريحة الملعونة، قال:

- نحن نتضرع وندعو الله لينجينا من هذا البلاء.

أعطي أبي طعامًا كثيرًا وماءً نظيفًا..

- نحن الآن نخوض حرب الماء، فالنيل قلّ منسوبه.

قال الرجل العجوز لأبي:

- لديك مريض يا ولدي.

- نعم.

- خذ هذه الأعشاب والتزم بعدم جفاف الجسد، ولا تعطِ للمريض اللحم أيًا كان نوعه أو الدهون أو اللبن، ولا تقلل الملح بالطعام، اكتفي بالحساء

وخذ هذا أيضًا.

- ما هذا؟

- مسبحة مصنوعة من الكوك، أعطها للمريض للاستغفار بنية الشفاء، عافاكم الله يا ولدي.

ذهبنا إلى أختي وفعل أبي كما أمره العجوز ووضع كمية وفيرة من الماء بجوار هبة التي ابتسمت، لكنها لم تكف عن السؤال قائلة:

- أين أمي يا أبي؟

اختارت البقاء

- لماذا تتركنا؟

- لا أعلم يا ابنتي.

صرخت فيه قائلًا:

- لا أنت تعلم يا أبي.

وقصصت لهبة ما حدث، في حين صاح أبي:

- اصمت يا آدم قليلًا، فأختك متعبة.

- لا.. أريد أن أعلم يا أبي ما حدث.

من جديد صحت فيه:

- قل لها ماذا حدث يا أبي؟

لم يرد أبي الكلام، فلزم الصمت وترك الحجرة لنا، هبة ترفض الاقتراب مني خوفًا علي، حتي أبي يبتعد عني لأنه حمل المرض هو يشعر بالأعراض.

- أريد التحدث إليها.

- نعم.. اهدأي قليلًا.. لأرى ماذا سنفعل؟

- هبة.. الإشارة تعمل الحمد لله.

- افتح الشاشة.

حاولت الاتصال بأمي لكن بلا جدوى، حتي حبيبتي لم تودّعني بالمطار، انتظرت كثيرًا الإشارة حتى ترد على اتصالي فلم تفعل، الشك يقتلني ولا أعلم ماذا أفعل؟ وهبة عقلها يفرغ كل ثانية تتوه وترجع لنتذكر الألم، الدماء تنزف من أنفها قليلًا، المرض يتمكّن منها.. يا ليت أمي كانت معي، كيف حال أمي الآن؟، كان قرارًا خاطئًا عندما تركتنا في ذلك الوقت، لكن كل واحد منا تركك وحيدة، لا سؤال ولا اهتمام، لكنك يا أمي كئيبة منطوية، أبي يكره روتينك وبرودك، أنت أم حنون، لكنك رادعة، أتسائل دومًا لماذا تبقين مع أبي وهو يكرهك؟ ولم أجد الإجابة عند رحيلك من حياتنا.. نحن كنا أطفالًا.. أردتي الاطمئنان ثم النجاة منه أم منكِ، أراكِ غامضة.. أنثي بلا مشاعر.. باردة تتحمل الإهانة والبغض والخيانة، وتصمت وترجع عن قرار الرحيل.. أتعلمين أمي؛ أبي احترمك عند رحيلك، تأثر كثيرًا من بُعدك عنه.. ربما المرض لكن كيف؟ أنتم بشر متناقضون، لكنك جبل قوي تحمّل ما لا يتحمله إنسان لأجلنا، سامحيني أمي لكنك ابتعدتِ في الوقت الخطأ.. ذهبت إلى غرفتي لأرتاح قليلًا من التفكير القاتل واستيقظت على نداء هبة.

- آدم.

- هبة ما بك؟

- أنا متعبة جدًا.

- هل تناولتي الأعشاب؟

- لا.. أرجوك اصنع لي كوبًا من الأعشاب.

- حاضر... أين أبي؟

- لا أعلم.

«وبعد وقت قليل وهبة تشرب الأعشاب وهي مستلقية علي الأريكة، بينما أنا ممسك بالحاسوب أدون كآبتي، دخل أبي وعليه علامات الارتباك فقلت:

- أبي أين كنت؟.. هبة أصابها إعياء شديد.

- كنت أحضر طعامًا وشرابًا وبعض الأعشاب؟

- ما هذه الدماء بيدك يا أبي.

- نزعت الشريحة.

- لكنه خطر.

- الأخطر ما نحن فيه.

انقض أبي على ذراعي بعنف فصرخت قائلًا:

- ماذا تفعل يا أبي؟

- سأنزع الشريحة من أختك ومنك.

- لماذا؟

- لا نحتاج إليها.

- لن تحصل على العلاج بدونها.

- ما معها هو العلاج افهم... ولو كنت مخطئًا.. المال يحل كل المشاكل.

نزع أبي الشريحة منا، أحسست بأن الدماء تسير بعروقي كأنني ولدت من جديد، هبة صحتها أصبحت جيدة، أول يوم استلقي على فراشي بدون خوف أو فزع أو أحلام مفزعة، استيقظت وشهيتي مفتوحة للأكل حتي أبي وهبة نفس الوضع أبي قال:

- الآن سمعت باللقاح الجديد.

- والندبة أبي مكان الشريحة؟

- انتظر غدًا وسنعلم.

- أمي يا أبي.

- نعم إنها ذنب فعلته بجوار ذنوب كثيرة.. أدعو الله أن يغفر لي.. لكن اطمئن.. لا خوف عليها.. إنها بخير.

- لا تبكِ يا آدم.. أنت رجل.

- هبة.

- نعم أبي.

- كيف حالك الآن؟

- أفضل قليلًا.

- نعم.. الحمد لله.

- الآن أريد منكما شيئًا مهمًا.

- ما هو يا أبي؟

- عليكما الالتزام بالصلاة والعبادة لا تتركوها أبدًا.

بالفعل ذهبنا للاغتسال كأننا ولدنا من جديد وصلينا، وبكينا بكاء لا أستطيع وصفه كأننا ارتمينا بحملنا على الله.

ذهب أبي و ذهبت لإعداد الطعام وتجهيز المنزل، فالمنزل كبير جدًا يحتاج إلى عشر أفراد لتنظيفه لا واحد.

انتهيت من كل شيء قبل الرابعة عصرًا وتناولنا الطعام، ولم يأتِ أبي بعد،

فذهبت إلى حجرتي وارتحت قليلًا، حتى سمعت نداء أبي، خرجت من حجرتي نازلًا الدرج مسرعًا، فوجدت أبي يجلس على الأريكة ومعه الشرائح الثلاثة، فسألته قائلًا:

- ما هذا؟

أجابني قائلًا:

- نزعت الهرمون منها، صديق لي طبيب سيزرعها لنا بعد أسبوع في الجبهة،

- وإذا سألوا عن شريحة اليد؟!

- لا تخف لن يسألوا عن شيء، لأننا سنضعها مرة أخري في العقل، ولكن بلا هرمون أو داتا.

- رائع يا أبي.. أنت عبقري.

- إنها حرب الدجال والرجيم ونحن الضحية.

- الله لن يسمح بذلك.

- نعم.. إن الله ينبه العقول ولكن الشيطان يسيطر علينا، فيجعلنا لا ننتبه لتنبيه الخالق.. إنها الحرب يا بني علي البشر.

الأعشاب والصلاة جعلا ذهنا أبي وهبة متقدًا، وقلّت علامات المرض من ذهول العقل، لكنني أخشى أن تكون تلك الشرائح خدعة من صديق أبي فهو رجل ذو عقل مهم بالنسبة لهم، ولن يتركوه أبدًا، أنا خائف.. أبي أصبح مشتتًا بين العديد من الجبهات.

انتهي اليوم واستيقظنا للذهاب إلى المشفى، الطريق أصبح آمنًا وخاليًا من الهوجاء والمرضي، دخلت المشفى وجلست وتم التحليل والتأكد من خلو المرض مني، أما أبي وهبة كانت نتيجتيهما إيجابية، فأخذا العقار وأصبحا تحت الملاحظة والعزل حتي يتم الزرع، والمنتظرين للزرع أعدادهم كثيرة

لكن الأغنياء يحصلون على العقار قبل غيرهم، والخوف هو تقدمي علي بعض الحالات، أخذت رقمًا وسوف أذهب وحيدًا إلى البيت بعد وضع الشريحة باليد مرة أخري.. إنهم يعلمون- كل شيء، وعلمت أن الفقراء لهم أماكن أخري وكل من يرفض الزرع يصبح عدوًا للإنسانية ويجب إبادته، أعتقد أننا سندخل حربًا دموية بين عقل الشرائح وعقل البشر.. يا الله ماذا أكتب هل سأكون آلة يتحكمون بها في حربهم؟.. الممرضة تدخل الآن، سأغلق نورك أيها الهاتف لحين اللقاء.

دكتور كين

دكتور كين رجل وقور توفيت زوجتُه بالوباء، كانت طبيبة أيضًا، لكنها فضلت البقاء مع الأبناء لحين انتهاء الأزمة، لكن للأسف، لم تنتهِ بعد لقد مرض أبناءه وتم وضعهم بالحجر الصحي، واليوم توفي ابنه الأخير بعد نوبة من التشنجات، وأخذ حقنة الموت.

- دكتور كين.. أنا آسفة.

- لا تتأسفي.. جميعنا سنموت.

- أنت تبتسم؟!

- نعم.. أتعلمين أن الطفل المتوفى ومسكتي يده كان ابني.. كان يريد حبًا وأنتِ فعلتِ ذلك.. شكرا لكِ.. أتعلمين أن العالم كله سيذهب.. اكتشفوا مع جفاف البحر الأسود سدًا من الحديد والنحاس.

- نعم سمعت ذلك.

- أنا أقرأ بالكتب والأديان السماوية، إن علامة موت الكوكب وشيكة بخروج نسل من البشر مختلفي الشكل ومنهم مَن يشبهنا، أتعتقدين أنهم موجودين بجوارنا؟

- لا أعلم.

- نحن نتخيل لا أكثر.

- أتعتقد بأننا بصدد نهاية العالم؟

- هذه بداية النهاية يا عزيزتي، إنها ليست المرة الأولي التي يظهر بها فيروس بالعالم، لكن وقتها تضاربت الأقوال أن الفيروس مفتعل من قبل جماعة ما بالتعاقد مع الرجيم لتقليل عدد البشر إلى الثلث، لكن سرعان ما تم السيطرة على المرض، وعادت حياة البشر بعد جزء كبير من الخلل بنظام

العالم والفوضى بالدول الكبرى.

- هل تعتقد أنه سيحدث فوضي؟

- نعم.

- الفيروس يقتل الآلاف لكن الفوضى ستقتل الملايين، إذا لم تتعامل الدول بحكمة وتعقل ستحدث الفوضى بلا شك.

- نعم.

- اذهبي يا فاطمة إلى العمل.

- حاضر.. أستأذنك سيدي.

لم أتمالك رعشة يدي إلي أن تملكت جسدي النحيل وروحي.. أخاف على أبنائي وحفيدتي الصغيرة التي لم تشرق بعد إلى هذا العالم الكئيب، حاولت مرارًا وتكرارًا الاتصال بالقاهرة ولا مجيب، اتصلت بأختي بمكة لا مجيب، اتصلت بأخي في ليبيا لا مجيب، قطع الاتصال عن العامة حتي لا يزيد إلا الفزع، وأصبح الاتصال مقتصرًا بين الحكام والعلماء لحل الأزمة.

- فاطمة.

- نعم جين.

- أشعر بالتعب.

- اذهبِ إلى الراحة قليلًا.

- لا إنه.. إنه.. المرض.

نظرت لها مستنكرة وقلت:

- لا تقولي هذا.

- أنا متأكدة من ذلك، أرسلي في طلب المساعدة لي.

تأملتها في أسى وقلت:

- المرض ينتشر بين الأطباء وطاقم التمريض، الدكتور كين ينظر متألمًا لجميع مرضي، أصبحنا قلة لاحتواء المرض.

هرعت إلى دكتور كين منادية:

- دكتور كين.

- فاطمة؟!.. أين دكتور علي؟

- بالداخل.

- استدعه فورًا.

بالفعل ذهبت مسرعة لاستدعاء دكتور علي، الذي قال لي محذرًا:

- المرض انتشر بين الجميع، خذي حذرك يا فاطمة.

توجهت بقلبي وعيني للسماء وقلت في تضرع:

- الرحمة من عندك يا الله.

- ونعم بالله.

- دكتور كين يريدك أن تلحق به على الفور.

ذهب معي مسرعًا إليه والخوف لا يفارقه وما ان وصل حتى قال له دكتور كين:

- أعلنت الحكومة عن اكتشاف العلاج.

- الحمد لله.. المرض يكاد يفتك بالطاقم الطبي.

- شحنة الدواء ستصل بعد وقت قليل، يجب أن نتماسك.. هم يعلمون بالوضع.

- نعم.

انتشر الدواء بالعالم أجمع، وتناوله الجميع بعد أن حصد ملايين الأرواح نتيجة الفوضى والفزع و المرض.

العائلة

عادت الحياة الطبيعية للعالم من جديد، وتمكنت الحكومات من السيطرة على الفوضى، تواصلت مع عزيز وأولادي، وقالوا لي أن أبقي قليلًا حتي تستقر الأوضاع.

قال عزيز في تأثر:

- السلام عليكم يا فاطمة.. أنا أعرف قلبك الطيب فهل يمكن أن تسامحيني؟

- لا أستطيع.. انتهت الحياة بيننا يا عزيز ولا مجال لهذا الحديث.

- ستأتين قريبًا، أنا أصبحت شخصًا مختلفًا.

- أعلم ذلك يا عزيز.

- وكيف حال حفيدتي؟

- للأسف لم يشأ لها الله الحياة.

صحت منزعجة وقلت:

- كيف؟ وهبة كيف حالها؟ هل أصابها مكروه؟

- لا تخافي إنها بخير.. أصابها المرض وبمعاونة الأطباء واللقاح تم علاج جميع المصابين.

- الحمد لله، تم الشفاء بعد يومين من العلاج انتهت الحرارة واستعادت الاتزان لكن لا تنام حتى الآن.

- الحمد لله.. إنها أعراض جانبية وستزول بإذن الله.. أريد التحدث إلى ابنتي.

انتظرت بضع من ثوانٍ كأنها ساعات للاطمئنان على هبة قبل أن أسمع صوتها فقلت بلهفة:

- هبة كيف حالك؟

- الحمد لله يا أمي اشتقت إليكِ كثيراً.

- وأين زوجك؟

- لا أعلم شيئًا عنه.. هناك أمور كثيرة يجب أن تعلميها.. أنا أحتاج إليكِ.. لماذا تركتنا يا أمي.. أبي لا يستحق ذلك منكِ.. سامحكِ الله.

أجبتها بصوت ينشج بالبكاء قائلة:

- لا تقسِ علي ولا تظلميني، أنتِ لا تعلمين ما مررت به مع أبيك.. أرجوكِ دعيني أتحدث إلى آدم.

جاءني صوت آدم فقلت بصوت ما زال باكيًا:

- بني.

- أمي أفتقدك كثيراً، أنا أريد أن أغادر.

- نعم.. أنا أنتظرك لكن يجب أن تبقى لأنني سآتي إلى الوطن، إذا جاءت النهاية، فالوطن أحق أن يحمل أثقال أجسادنا.

تكلمت معهم ولا حديث بيننا غير اللوم والعتاب وآدم طفل كعادته يحتاج إلى حضن أمه الدافئ.

حرب الماء

بعد الانتهاء من المكالمة ذهبت لأشرب الماء العذب من الصنبور المخصص للشرب، لكن لم تنسل منه حتى قطرة ماء واحدة، على أني احتفظ دائمًا بماء في البرّاد، جلست وفتحت الشاشة النقالة في شرفة منزلي، تقول المذيعة ذات الوجهة العابس أن بحيرة طبرية عند نهاية العام ستصبح جافة نهائيًا، وأن الأنهار بالعالم أجمع سوف تجف، يا الله تقول الأخبار أن التاريخ والعلماء في القدم قالوا إن البحيرة منذ عام ١٦ ٢٠ انخفض منسوب المياه بها إلى درجة كبيرة، ويعتقدون أن هذا العام هو النهاية الحاسمة لنهاية الحياة المائية العذبة علي الكوكب، مر وقت طويل من الزمن والمنسوب قلّ كثيرًا وأوشك الجفاف أن يعلن نهاية القرن.

قرأت الكثير عن هذه البحيرة، وقرأت أن لها علاقة بالأديان السماوية وتسمى البحيرة في اليهودية، باسم «كينيرت» وتسمى أيضًا في الحضارة اليونانية «بحيرة الجليل»، وتعتبر مصدرًا مهمًا من مصادر مياه الشرب، و قد بين في الإنجيل «أن عيسي عليه السلام كان لديه معجزات كبيرة عند البحيرة ويقال بأن سيدنا عيسي عليه السلام سار علي مياهها وكان يطلق خطبه الشهيرة على جبالها و على البحيرة قد جُند أربعة من تلاميذ سيدنا عيسي عليه السلام التابعين له، تعجبت كثيرًا لذكر هذه البحيرة وارتباطها بموت الدجال، وذكرت أيضًا أنه في السُنّة عن رسول الله ﷺ، لا أعلم يا قلمي ماذا يُمهد لنا من قبل السلطة؟ هل الفزع لم ينتهِ بعد؟، أغلقت الشاشة بوجه المذيعة العابس وفتحت على القناة المحلية ليظهر رجل وقور أربعيني يبدو أنه عالم وقال:-

- الماء قل كثيرًا في العالم أجمع، أصبح الماء أهم من الطاقة، وقبل الانتهاء قال إن نهر الصين العظيم أوشك علي الجفاف، قررت الحكومة توزيع سبعة لترات من الماء أسبوعيًا للفرد الواحد للشرب واستهلاك المياه المعدّلة من البحار والمحيطات في الاستعمالات اليومية، جفاف الماء عن العالم هل يستطع

معه الإنسان العيش وهو يمثل أكثر من ٧٠٪ من جسده؟.. إذن هي النهاية، والموت أصبح وشيكًا والصناعة يدخل فيها الماء بكل شيء تقريبًا، رغم انتهاء توليد الكهرباء من الماء وحل محلها الشمس، أفكر وقطع تفكيري العالم ليقول:

- للأسف بعض أماكن المياه الجوفية يجف نهائيًا في الأماكن التي تعتمد على المياه الجوفية.

إنه يوم إجازتي وبالتأكيد سأذهب لأحصل على حصتي من الماء، أنا أحيانًا لا أغادر المشفى، لكن هذه الأيام أنا متعبة حقًا وأيضا اللقاح بدأ ينتشر والمرض قلّ كثيرًا، وقفت طابورًا طويلًا جدًا حتى مللت الانتظار، لأجد شابًا يستعرض خفة يده أمام الناس لدرجة أنه رفع جسده عن الأرض وبالفعل صراخ البشر آذى أذني، طلب مني الشاب نقودًا وقال:

- أعطني يدك ولا تخشي شيئًا فأنا أرتدي قفازات.

رفضت في أول الأمر لكني وافقت بسبب إلحاح الشاب، وجدته ينقش كلمات بالعربية تقول "أنت جزء من اللعبة"، لم أفهم شيئًا.. وفجأة فقدت الوعي، وما أن بدأت أفيق وأستطلع ما حولي حتى وجدت نفسي ملقاة على كرسي، وقلت للرجل الواقف أمامي بوهن:

- ماذا حدث؟

فأجابني قائلًا:

- كنت تكلمين نفسك وترفعين يدك بشكل غريب، ظن البعض أنك مصابة بالفيروس ولكن لم نجد دماءً كما تعودنا وفجأة فقدتي الوعي.

فسألته عن الشاب، فأجاب:

- أنا لا أعلم عم تسألين يا سيدتي؟.

اعتقد الرجل بأنني قد انتابني الجنون من قلة النوم، ونصحني بالذهاب إلى البيت وطلب عنواني و علامة التصريح لصرف الماء، وقال أنه سوف يرسل الماء مع ابنته، بالفعل شكرته وذهبت إلى البيت، وبعد أكثر من ساعتين طرق باب شقتي فوجدت فتاة أخذت الماء منها وطلبت منها الدخول لتقديم مشروب لها وشكرها هي ووالدها، وبالفعل دخلت وذهبت لأحضر صكًا فضيًا وعند خروجي وجدت قطة سوداء اللون تنظر إلى وجهي وحاولت الهجوم علي، لكنني ذهبت إلى حجرتي وأغلقت الباب بإحكام والعجيب أنها ظهرت أمامي مرة أخري، ولكن هذه المرة تحولت لامرأه سوداء، ولم تكف عن النظر إليّ وقالت:

- أنت جزء من اللعبة.

وفتحت الباب لأجد الفتاة تقول لي في ذعر:

- ما بك سيدتي؟

- لا شيء آسفة، لقد رأيت فأرًا.

- أنت تخافين من الفئران مثلي.

- للأسف.. نعم.

- لا تتأسفي سيدتي.. أتعلمين! في يوم كنت نائمة ووجدت فأرًا نائمًا بجواري لن أستطع أن أقص عليكِ ماذا فعلت.. الشرطة جاءت إلى المنزل من صوت

الصراخ، نعم اضحكي سيدتي لا تجعلي الهم يأكل أيامك.

- عندك حق.. ما اسمك؟

- إيفا.

- أهلًا بك.. وأنا فاطمة.

- نعم أخبرني أبي بذلك.

- هل تدرسين؟

- الفقراء لا يدرسون إلا المبادئ.. يأكلون ويعملون فقط.

- للأسف.. خذي إنه جزء بسيط مما قدمه والدك لي.

- شكرًا لك سيدتي، لكنه كثير العملات الذهبية والفضية لا يستعملها إلا الأغنياء، أما نحن نأخذ المعدنية للخبز والطعام.

- كم عملة تحصلين عليها يوميًا؟

- إذا اجتهدت بالعمل آخذ خمس عملات معدنية ومفتاح للطاقة.

- إنه قليل.. كيف يعيش الفرد بمبلغ كهذا؟

- إنه الستر سيدتي.

- انتظري سأعطيكِ ورقة بملكية العملة حتى لا تعتقد السلطات أنك سارقة.

- شكرا لكِ سيدتي.

- أعطني رقم هاتفك، فأنا لن أستطع الذهاب إلى أخذ الماء.. وربما احتجت مساعدتك.

- لا عليك سيدتي، يشرفني خدمتك.

- شكرًا لك يا صغيرتي.

ذهبت الفتاة وذهبت للاغتسال، وصنعت القليل من الطعام وشربت إلى حد الارتواء، قبل أن يرن الهاتف معلنًا عن اتصال هاتفي من السلطات الطبية للاطمئنان على حالتي، هم يراقبوننا جميعًا كما كان يقول عزيز أتذكر كلامه.. «إنهم يعلمون ماذا أفعل؟ ويعجبهم ذلك حتى ولو كان خارجًا عن القانون فهم يحبون الأذكياء، فهم يعتقدون أن المجرم طفرة ذكية يخرج عن المألوف»

منذ وقت كان يوجد رجل قاتل، عندما قبضت عليه السلطات لم يُقدّم إلى المحاكمة، بل قُدِّم لمركز تأهيل وأصبح اليوم رئيسًا للحي الذي أقطن فيه، ذهبت إلى فراشي بعد تناول بعض من الطعام والشاي الساخن، وأنا أفكر حتي عجز عقلي و أوصالي.

الخدعة

استيقظت الساعة الثالثة صباحًا، لا أسمع إلا الصمم بالمنزل ذهبت إلى خارج المنزل لأستنشق الهواء، وجدت مجموعة من الشباب تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين عامًا، يرتدون عباءات سوداء و يتمتمون بكلمات غريبة، الأمن أوقفهم ووضعهم بسيارة الأمن لاختراق قانون البلاد والتجمع في ميعاد الحظر، ظهر رجل أربعيني جامد الملامح وتكلم مع الأمن ليتركهم وبالفعل تركهم، وسار الرجل ومعه مجموعة الشباب في اتجاهي، انتابني فزع بداخلي لم أستطع وصفه أو التعبير عنه، وقفوا جميعًا، بينما قدمي تخشبت مكانها لم أستطع الحركة، فتح جامد الملامح يدي ووضع ورقة فيها وأغلقها، أكملوا طريقهم وأنا عدت إلى منزلي مسرعة والفزع والخوف تملكانني، نظرت إلى يدي فوجدت كلمات مكتوبة في الورقة تكرر ذات الجملة التي تلاحقني منذ فترة «أنت جزء من اللعبة».. أغلقت عيني بدون وعي واستيقظت صباحًا والورقة مازالت في يدي.. «أنت جزء من اللعبة» لم أفهم ما المقصود من هذه الجملة، لكن الرعب تملكني حقًا.

منذ عشرة أعوام وافق العالم أجمع على حصول عبدة الرجيم على تصريح لبناء معابدهم وممارسة طقوسهم، أصبحت عبادة الرجيم معترفًا بها عالميًا..وجودهم أصبح ظاهرة كبيرة جدًا في العالم أجمع، بجواري امرأة أعلنت أنها باعت روحها للشيطان إذا قتلت زوجها، فقتلت السيدة زوجها وقبضت قوات الامن عليها، اليوم التالي اكتشفت القوات اختفاءها وبعد فترة وجدوها مقتولة، وقبل الفيروس أختطفت ثلاثة فتيات بأعمار مختلفة وجميعهم مقتولين بذات الطريقة، سنة كاملة والجرائم لا تنتهي ولعدم نشر الفزع؛ صمت الإعلام عند وجود حالة قتل، الغريب أن آخر حالة قتلت فتاة عشرينية مصلوبة داخل شقتها ولسانها مقطوع وعيناها جاحظتين وأطرافها مثبتة بالمسامير، ومكتوب علي جبينها كلمة «السيد»، اعتبر البعض أن ما

حدث بسبب جماعات دينية متطرفة، أتت رسالة إلى الشرطة وبداخلها رائحه نفاذة، كانت السبب في انتشار الرعب بين العالم، نعم أنها الحرب القذرة لا الباردة كما يدعي البعض، الحرب الباردة هي حرب الكلمات، أما الحرب القذرة هي قتل الأبرياء بالطاعون .

استيقظت صباحًا وأنا عازمة على ترك العمل والاسترخاء قليلًا وتوديع الأصدقاء والذهاب لأبنائي، أحضرت قهوتي وأخذت بعض الكعك غير المحلي، أخذت بين أناملي الهاتف لمشاهد الشاشة النقالة، ظهرت أمامي المذيعة ذات الوجه العابس التي لم تصب بالجرثومة، أعلنت العثور على جثة امرأة مذبوحة ومعلقة على إحدى أشجار الحديقة العامة، وتطلب من جميع النساء توخي الحذر، لأن القاتل مازال طليقًا، لا أعلم رغم التقدم لا يستطيعون معرفة هوية القاتل، وعندما فقدت الوعي علمت السلطات الطبية كأنهم أرادوا نشر الفزع، إنهم يعلمون القاتل والمقتول، كأننا طفل تهدده أمه بالشبح، إذا لم ينم أو يأكل أو يلتزم الأدب، أظهروا شكل المرأة الشابة أنها إحدى الممرضات بالمشفى.. كيف يعقل هذا؟، لم أصدق الأخبار.. أخذت الهاتف واتصلت بالشرطة التي جاءت إلى منزلي سريعًا وبالفعل عرضوا علي الصور مرة أخرى عن قرب، وأعطيتهم عنوان هوانا.

****

مذكرات بخزانة هوانا

الساعة التاسعة مساءً، استأذنت من رئيسة التمريض الذهاب إلى المنزل.. أحسست بالمرض يسري بجسدي، عدت إلى البيت بمساعدة إحدى زميلاتي تُدعى فاطمة وقامت بتوفير ما يلزمني، تعجبت قليلًا لأنهم سمحوا لي بالانصراف بدون التأكد من حالتي وجعل فاطمة ترافقني وما أن غادرتني

فاطمة، حتى وجدت حرارتي ترتفع وتتحكم بأوصالي، رأيت ظلًا أسودًا يمر أمام عيني، وفجأة تشكل على هيئة شيطان، رأيت نفسي أسير بشوارع المدينة، وباء الفزع سيطر على البعض أكثر من الجرثومة، رأيت الخوف بدون أقنعة وبشر يشبهوننا كثيراً، لكنهم مختلفون، ينظرون لنا نظرة الشيطان، جاء قائدهم يجلس على كرسي مرسوم علي ظهره شكل الشيطان، شاب نحيل الجسد، يرتدى عباءة قديمة كأنه بالعصور الوسطي، يرفع يده النحيلة فأرتفع معه، طلب مني أن أكون عونًا له، أبناءه يريدون الطعام، والمقابل هو شفائي من الطاعون، وفجأة ظهر الشيطان بهيئته وجلس على كرسي ذو العباءة السوداءوقام وركع له ، فأجبت... فقام الشيطان من جلسته والغضب بعينه وقال :

- بشرط.. عقد اتفاق بيننا بذلك.

ووافقت.. فكتبت كلماتي والفزع بداخليّ ليجدها أحد في يوم ما، أنا أتذكر جيدًا عندما جاء أحد أبناء الشيطان إلى منزلي وقال لي:

- نحن أحفاد يافث على الأرض ولن نترك شبراً واحدًا لكم، أنتم أخذتم الأرض عقودًا وحبسنا وراء السور، نحن بشر مثلكم ووضع أبناءنا الأكاذيب حتى تتوهموا وتخافوا منا إلى أن جاء الرجيم وعقدنا معه الصفقة العليا ليربط بيننا وبين أحفادنا منهم من كان على الوعد ومنهم ترك الوعود فنسي أنسالهم و أنسابهم.

قتلت الضحية الأولي بعد ما دعوتها إلى العشاء ببيتي وشرب دمائها بطريقة شنيعة لا توصف، لقد مات ثلاث فتيات وعشر رجال، وبعد الجثة الثالثة عشر رفضت إعطاءهم دماء أخرى، كان طلبهم مرهقًا على الدوام لكن هذا كان الأصعب، فقد كانوا يريدون دماء طفل، فلم أستطع تلبية طلباتهم هذه

المرة، فجاء ثلاث رجال أشكالهم تتفاوت من حيث الطول والملامح؛ منهم مَن يشبهنا ومنهم غلاظ الملامح وآذانهم كبيرة إلى حد ما، منتظرين الضحية فرفضت، وانصرفوا غاضبين وهم يتوعدونني.

أنا أعلم أن مصيري الموت.. أسمع أصواتهم الغليظة وهم يقولون:

- نحن قادمون ولن نترك لكم زرعًا أو حصدًا أو رحمًا إلا قطعناه، نحن نريد القصاص من تقدمكم ورغدكم على الأرض، نحن رأينا العذاب وراء السور وتغذينا على الثعابين وأمواتنا فتغير أشكال بعضنا ليتوحشوا ويصدروا صوت الصرير هذا، لقد قطعوا آذان وجلود أمواتنا لتزداد أحجام آذانهم وكأنها لعنة أصابتهم، فافترشوها غطاء لهم من البرد، نحن قبائل يأجوج ومأجوج موعدكم بالهلاك، كيف لامرأه بغيضة مثلك أن تمتنع عن تنفيذ أوامرنا انتظري الموت.

هم لن يظهروا إلا بأمر الرجيم.. المحرك القوي لهم.

هوانا

****

فاطمة

ذهبت مع الشرطة ورأيت زميلتي وهي مصلوبة ودمائها مصفّاة ومكتوب عليها «دم الشيطان، إن شربت ستعقد الصفقة وتأخذ القوى».. رأيت أحد الضباط أعجب بالكلمات، نزلت مسرعة إلى أسفل بعد استئذان الشرطة، الرائحة كانت بشعة، ركبت السيارة معهم لكن وجدت قطرات من الدماء على أفواههم فعلمت أنهم شربوا الدماء تمهيدًا لعقد الصفقة مع الشيطان،

لطار لي أحدهم ولم يكن قد شرب مثلهم، ثم فتح الباب فجأة ونزل معي مسرعًا وهو بحالة من الفزع، وتبادل إطلاق النار وقال حانت النهاية ابتعدي، ابتعدت مهرولة من مكان الحادث وركبت سيارة هوائية إلى بيتي، الغريب أن الحادث لم يتم ذكره في الأخبار ولاحتى تم الاتصال بي من قِبل السلطات، كأن الأمر لا يعنيهم على الإطلاق أو يحاولون إخفاء شيء ما... أو... هل يمكن أكون مصابة بالهلوسة؟

قالت لي أمي جلوس الإنسان وحيدًا لفترات طويلة يصيبه الهلوسة السمعية والبصرية، ولكن قال جدي أيضًا.. أن في كل قرن يظهر عراف كما يقولون يتنبأ لنتسائل هذا محض صدفة أم أنهم النورانيين وليس المتنورين؟.. أعلم أنك تسأل أيها القلم العزيز ما هو الفرق أو أنك تعلم وتريد أن تختبر قدرات فهمي.. النوراني هو مَن يري ويشعر بكل ما هو غريب ويري الحدث قبل وقوعه، أما المتنورين هم جماعة الرجيم يدّعون التنور بالسحر الأسود والشعوذة والسلام وهم أعداء البشرية جمعاء..

أرأيت الفرق؟!.. حروف تفرق بين الخير والشر ليحدث الشتات والخوف بأن واحد، لا أنكر أنني كنت أرى في صغري أشياء غريبة لا تنم عن الواقع بشيء، ففي ذات يوم كنت أسير بإحدى شوارع القاهرة وأرى بعض البشر لهم وجه شيطاني، ففقدت الوعي وحملني أصدقائي إلى البيت، أحضرت أمي لي طبيبًا معالجًا بعد الحادثً ولم يستطع علاجي، إلى أن اقترح أحد الأقارب الذهاب إلى الشيخ، وبالفعل ذهبت إلى للشيخ، وأخبرته بما حدث فضحك، فقالت أمي في سذاجة:

- هل ستقوم القيامة؟

رد قائلًا وهو يضحك:

- هل انتهى الفقراء لتقوم؟

نسيت الحادث وانشغلت بدراستي و مر الوقت والحال كما هو لا اتصال لا عنوان لا أخبار عن الحادث...

أويت إلى فراشي متأملة السماء، لا أجد علامة من علامات الله لتذهب مجون العالم ونرتاح جميعًا، فوجدت النجم المشع ينير بالقرب من القمر، سنين طويلة وهو ينتظر، أمسكك وأنا بالفراش ورمضان غدًا وهو أول أيام الجمعة، لم أستطع النوم.. فانتظرت السحور ثم النوم..

****

«أول يوم برمضان»

اتصلت بعائلتي صباحًا وصوت آدم مخنوق لأن هبة فقدت النطق حال كل المرضى بعد الشفاء، عجبًا اللقاح له آثار وخيمة، وعزيز تعرض للعدوى وبالتالي سيتعرض إما للصمم أو العجز، بكيت شديدًا ولم أتمالك أعصابي حتي ذهبت للوضوء والصلاة، والاتصال بدكتور علي لإيجاد حل لعائلتي، قال الدكتور علي أنه تم اكتشاف علمي مذهل ستعيد للمرضي قدراتهم كما كانوا، ففرحت جدًا وسألته:

- ما هو هذا العلاج؟

- شريحة إلكترونية صغيرة توضع في المكان المتضرر بالعقل.

- وهل هناك أية آثار جانبية لهذه الشريحة يا دكتور؟

- لا بالطبع.. التجربة تمت على أكثر من ألف شخص ولاحظنا نشاط العقل أفضل حتى من قبل الإصابة، بل واكتساب قدرات قوية جدًا وعجيبة.

- ومتي سيبدأ العلاج بها في الدول أجمع، أم أذهب لإحضارهم إلى هنا؟

- لا تفعلي.. ستصدر لجميع دول العالم السبعة، أنتِ تعلمين أن علماءنا يهتمون بحياتنا بعد وفاة أعداد مهولة منذ بداية القرن.

- هل صحيح استطاع العلماء السفر عبر الزمن؟

- نعم.. وأكثر بشر يتحملوا السفر المتعافين.

- يا الله.. خبر ممتاز دكتور علي.

- الإجازة انتهت ويجب أن تحضري حتي نبدأ في الانتهاء من الرسالة المقررة للارتقاء بالعمل ونقول لكِ الدكتورة فاطمة.

- نعم.. لكنني أفكر في السفر إلى عائلتي.

- اسمعي هنا الحياة أفضل.. عندما تتحسن الأوضاع تحضرين العائلة، أريدك أن تشاركي بعملية الزرع.

أجبته مندهشة:

- أنا يا دكتور علي؟!

- نعم.. لا تتأخري غدًا.

- بالتأكيد يا دكتور.

اتصلت بآدم وحكيت له ما حدث، كان مسرورًا لوجود علاج لشفاء أخته وأبيه وقال أنه يعلم بأمر الشريحة ثم قال بعد برهة:

- أمي.. أبي قبل أخذ العلاج أزال الشريحة من أيدينا جميعًا، العجيب أنني أختلط بهم ولم أصب بالمرض.

- كيف يفعل عزيز ذلك، لقد جن جنونه، بالتأكيد اكتشفوا ذلك.

- لا المال حل كل المشاكل وضعوها لي أثناء الفحوصات، أبي يضع بالخزانة كنزًا.

- بني.. أخبرني عند حضورهم.

- حاضر أمي وعند الانتهاء والاطمئنان عليهم سأحضر إليكِ لأكمل دراستي، سأقنع هبة ووالدي أن يحضروا معي.. الوضع هنا صعب.

- لماذا؟

- الشغب و السرقة رغم قلة حدوثها إلا أنها مازالت خطيرة، أمس حاول رجل سرقتي فقتلته، إنه ثاني رجل أقتله.

انتابني الذعر وقلت:

- وأين الشرطة بني؟

- حضرت وأخذت السارق جثة هامدة، أنا خرجت منذ ساعة واحدة من المخفر لتوافر حسن النية.

- الحمد لله أنك وضعت الشريحة مرة أخري.. اسمع أنا سآتي إليكم قريبًا.

- لا يا أمي.. أنا من سيأتي إليكِ لأكمل تعليمي ونأخذ سارة ونرجع إلى الوطن بسلام.

- حسنًا.. أنا بانتظارك.

- أمي اتصلي بسارة فإنها لم تجب على اتصالاتي.

- حاضر يا بني.. أعطني رقم هاتفها.

- مكتوب على حائط غرفتي.

- حسنًا.

انتهت المكالمة وأنا قلقة من الشريحة المزروعة بالعقل فإنها تؤرقني كثيرًا، هل ستكون بوابة الدجال الثانية؟، بالتأكيد لقد أصابني الخرف مما رأيته الفترة الماضية وكلمات آدم زادتني خوفًا وخرقًا.

عقلي مشتت.. تائهة.. أتنقل بين الحجرات.. وتذكرت سارة عندما وجدت هاتفها على الحائط، حاولت الاتصال مرارًا وتكرارًا، ولكنها لم تجب، فدخلت لمواقع التواصل لأحصل على محل الإقامة، وبالفعل وجدت العنوان، آدم يعتقد بأن سارة تركته لأجل رجل آخر لأنها لم تودعه عند السفر أو حتى تتصل به للاطمئنان عليه، أخشى على آدم من الصدمة، يمكن أن تكون ماتت أو مرضت مثل هبة وعزيز أو تركته من أجل رجل آخر لا أستطيع النوم واليوم كئيب حتي قطع الملل اتصال من السلطات يطلبون مني عدم مغادرة البلاد لأمر قومي، وإذا خالفت الأمر سأتعرض للإعدام، ما حال هذا اليوم الكئيب؟

جاء الليل ولم أصنع أي طعام للسحور، سأكتفي بقطعة جبن وكوب من القهوة وسأخلد إلى النوم لعل الألم ينتهي اليوم.

حكمت

أري نفسي بقرية متهالكة وينظر لي رجل برداء عربي قديم من القرن الثالث عشر، بينما أرتدي أنا ملابس الجواري وسني بالعشرين وسمعت أننا بحكم السلطان الناصر حسن، ويدعو له القوم بالعافية، رغم صغر سنه وحكمته في إدارة شؤون البلاد، فرغم المحن إلا أنه ذكي في تخطي الصعاب، أري أمواتًا كثر في الطرق، ورجال يرتدون زي الحرس يأخذون الموتى لحفر الموت «إنه الطاعون الأسود»، الدماء على ملابس الأموات، المنظر بشع مقيت..

- أنت أيتها البلهاء.. كيف تخرجين وحدك بلا سيد إلى هذا المكان.

- أنا؟!

- نعم.. هل أتحدث إلى أحد غيرك؟

أجاب أحدهم قائلًا:

- إنها فاطمة يا سيدي خادمة السيّدة حكمت.

- أنا؟!

- اصمتي يا جارية.

ثم توجه للمتحدث نيابة عني وسأله قائلًا:

- وأين السيدة حكمت يا خادم؟

-بالمنزل.

- اذهبي وإلا وضعتك بحفرة الموت، خذها من هنا أيها الأبله إلى سيدتك وإلا فرضت غرامة عليكما ووضعتكما بالسجن.

- أمرك يا سيدي.

جذبني الخادم من يدي وأسرع بي مغادرًا قبل ان يغير الحارس رأيه، وقال

في انزعاج:

- لم خرجتي السيدة تبحث عنك يا فاطمة.

- كيف عرفت اسمي؟

- أمس وجدتك السيدة فاقدة للوعي، بالطريق وعندما سألتك عن اسمك قلتي لها فاطمة.

- لا أذكر شيئًا.

- فاطمة أسرعي حتي لا تغضب السيدة حكمت.

أسرعت مع الرجل وأنا لا أعلم حتى اسمه، دخلت منزلًا قديمًا، لكنه يشي بالثراء، بينما تجلس في ردهته سيدة بالعقد الخامس من عمرها.. جميلة جدًا، طلبت مني الجلوس بجوارها وقالت:

- محروس.. أين الماء؟

- أمرك سيدتي.

نظرت لي نظرة مليئة بالود والاطمئنان وقالت:

- أنا أعلم أنك من العالم الموازي.. عند رجوعك يجب أن تأخذي معكِ سرًا.

- ما هو؟

- ولم العجلة يا ابنتي؟... صبراً.

أحضر محروس الماء ووضعت السيدة يديها، قالت كلامًا غير مفهوم و طلبت مني الاقتراب من الماء، دخل الرعب بقلبي وأغمضت عيني وقربت وجهي إلي الماء وقالت:

- افتحي عينيك.

رأيت كأنني بفيلم قديم مليء بالصور والمشاهد المتتالية، رأيت رجلًا عربيًا قوي الملامح ليس بقصير أو طويل يرتدي حلة سوداء يظهر بمشهد يبدو قويًا لكنه قلق وخلفه أربعة من الرجال يمثلون أكبر أربعة دول، ومنهم اثنان لأقوي دول العالم، والجميع يقفون بجوار بعضهم صفًا والرجل يقف أمامهم ويوليهم ظهره، وفجأة أعلن عن وفاة أحد القادة، فانقلب العالم بثورة عارمة، قبل أن تنشب حرب عالمية ثالثة وتظهر وجوهًا متباينة معلنة النصر ويظهر شاب له ملامح غربية أبيض البشرة ذو حمرة خفيفة، يقف في أعلى بناية يتكلم لغة الغرب يصفق بيده بسعادة و انتصار و فجأة تطمس إحدى عينيه وتنتهي الرؤيا لأستيقظ وأنا غارقة بالماء وقلبي تتسارع نبضاته.

ارتديت ملابسي سريعًا وانتعلت حذائي على الدرج حتى لا أتأخر على المشفى، وهناك ارتديت زي العمل ودخلت غرفة العمليات وشاركت بزرع الشريحة بعقل مولود لم تكتمل على ولادته دقيقة، نعم هكذا هي الأمور، يتم زرع شريحة للمواليد عند الولادة بدون معرفة الأهل.

بعد الانتهاء من زرع الشريحة للطفل دخل شاب معافى من المرض لكنه فاقد النطق والحركة، وقمنا بزرع الشريحة في جبهته، وبعدها توالت العمليات خلال وقت قصير أصبحت تتعدي الألف.

اتصل بي آدم ليبشرني بالشريحة وأن عزيز وهبة أصبحا أفضل حالًا من ذي قبل بسبب زرع الشريحة التي أعادت لهم الحياة، لم أعقب، وقال لي أنه قادم إليّ وعندما سألته قائلة:

- وأباك وأختك؟

أجابني قائلًا:

- أمي.. إنهم يحبون العيش هنا، أما أنا مستقبلي عندك.

- حسنًا يا بني.

- هل تكلمتِ مع سارة؟

- فعلت ولكنها لم ترد على الهاتف.

- هل تستطيعين الذهاب إليها.

- أرسل لي العنوان وسأذهب إليها في أقرب وقت.

أرسل لي العنوان وقررت الذهاب للاطمئنان على سارة غدًا، ذهبت للإفطار بعد الصوم، صار قلة فقط مَن يصومون رمضان، والمساجد وأدوار العبادة مغلقة منذ بداية الأزمة، ارتحت بعد الافطار وفتحت الشاشة لأشاهد ما يبعدني عن التوتر، لأجد نفسي ببيت حكمت وأنا مسلوبة الإرادة وهي تقول لي:

- ابنك أصبح كأبيه وأخته.

أمسكت الهاتف لأطمئن عليه.. فلم يجيبني ولم أستطيع النوم، فغفلت عيني من الإرهاق لأجد حكمت تقف معي أمام الشرفة لنسمع صوت شاب يقول:

- أغلقوا النوافذ فخيل السماء تسير لا تخرجوا وكل من يخرج سيموت أو يشل أو يجن.

رأيت حوافر خيل تجري بسرعة رهيبة في الهواء والسماء انقلب لونها للأحمر لا أعلم ما معني ذلك، استيقظت من غفلتي وأنا أبحث عن شربة ماء لأتذكر على الفور أنني صائمة، اتصلت بالمشفى للاعتذار عن الحضور والحصول علي إجازة، ذهبت إلى بيت سارة، وجدتها بحالة جيدة، أتذكر وجهها.. كانت إحدي مَن زرعت لهم الشريحة، كانت عاقلة لكنها مسيرة كأنها آلة.. لا افهم، آدم أرسل لي رسالة وهو يتباهى بالشريحة في رأسه وإظهار ندبة صغيرة في جبينه، عندما أغلق الهاتف كان بالمشفى وأراد مفاجأتي، نعم إننا نزرع الشرائح أمام الغدة الصنوبرية أو العين الثالثة التي توجد بالعقل حتي يتم السيطرة الكاملة وتصبح جزءًا من منظومة النظام الأوحد، شريحة اليد عندما زرعت رغم اعتراض رجال الدين كانت بسيطة لنقل المعلومات الشخصية والصحية والجنائية والتوقيع والشريحة جهاز صغير يقرأ ويحفظ

المعلومات.

لم يحتج البشر إلى وقت طويل لتنتشر الشريحة في العالم أجمع، الشريحة لم تكن متطورة لحد التجسس على عقولنا ونوايانا للتحكم بنا، لكن صنعوا ببعض الشرائح هرمونًا يسبب الاكتئاب وتختص بالشريحة الهرمونية لرجال الدين والسياسة والعلماء والصحفيين والأدباء والمعلمين، وكانت للأسف سببًا في قتل بعضهم أحيانًا، كل مَن يخالف الأوامر كنا نجده في الصباح التالي منتحرًا أو أصابه الجنون، لا أحد يعلم كيف يحدث ذلك، استخدمنا الشريحة في فتح السيارة والحصول على المال من آلات سحب النقود وفتح وغلق باب شقتنا.. كانت كالتوقيع الشخصي، كان التحكم ماديًا.. كثير من العلماء حذروا بأن الشريحة هي السبب فيما حدث من الوباء وبالطبع كل من يصرّح بذلك كان إما أن يصاب بالداء أو يموت منتحرًا، وغدًا ستزرع للأطباء الشريحة الأخطر، وسأكون أنا أول الحالات، شئت أم ابيت ستزرع بالعقل لنصبح آلات.

يوم شاق

ذهبت إلى العمل اليوم ووجدت الدكتور علي مهموم جدًا.. تأخرت كثيرًا عند السؤال، فسألته:

- ما بك؟

- لا شيء.

نظر لي بعدها نظرة غريبة وأعطاني ورقة، سأكتب لك ما كتبه يا قلمي لتقول لي ماذا أفعل؟

«عزيزتي فاطمة، أنتِ تعلمين أن اليوم ستزرع الشريحة بالعقل والتحكم بنا سيكون فعليًا، فأنا أولًا أزلت من شريحتك أنت ودكتور كين وبعض المقربين الهرمون ليوقف عملية السيطرة الفكرية على العقل والجسد، حتي لا نكون عبيدًا لنظام لا نعلم مَن ورائه، احذري من أقاربك حتى لو كانوا أبناءك، هناك بشر في موطنك نزعوا الشريحة اليدوية بواسطة آلة حتى لا يصابوا بالوباء، في الحقيقة هم أذكياء جدًا وأغبياء أيضًا، حيث اكتشفوا صانعي اللعبة لأن الشريحة هي السبب للأسف في المرض المستحدث، هم خدعوا البشرية أجمع وزرعوا لنا شرائح هرمونية باليد، وتحكموا بمشاعرنا أزمنة طويلة، ألم تري دور العبادة قلّ فيها عدد المصلين؟!، والدين والقيم والأخلاق انحدرت، كل مَن يصل إلى سن الخامسة والخمسين، وليس له نفع بالعالم يموت منتحرًا أو مقتولًا.. وعندما يسألون القاتل يجيب «لم أكن واعيًا»، ألم تري قتل الأبناء للآباء عندما يصل الآباء لهذا السن ولا عقاب، وفي الآونة الأخيرة وجدوا بأن هناك بشر لا يؤثر فيهم الهرمون وبالتالي اختلقوا هذا المرض لتزرع الشريحة بالعقل ليكون التأثير أقوى بكثير، ودمار أقوى دولة علمية بالعالم، فاطمة لكِ مني اعتذاري لأنني كنت السبب في إقناعك بالاشتراك في هذه الجريمة، سامحنا الله وإذا انتهت الأمور على خير سأغادر غدًا مع عائلتي إلى أرض الوطن، وعزيز زوجك يعلم بالأمر لكنه خدع واكتشفوا أمره لكنني لن أتركه، هو وأبي أوصوني بكِ طوال الفترة الماضية، فأنتِ مني يا فاطمة وهناك

سنقابل المجدون».

دكتور علي

ذهبت إلى البيت بعد الانتهاء من يوم مليء بالشقاء والتوتر، وأنا أفكر بقلق وخوف من كلمات علي، ولم أستطع الاتصال به فنمت، وما ان استيقظت حتى فتحت الأوراق لأكمل كلامي معك ووجدتك يا صديقي ترحب بفكرة الدكتور علي لكني أخشى أن يكتشفوا أمرنا مثل عزيز وأبنائي ويصبح إنقاذهم مستحيلًا، لذلك سأنتظر غدًا حتى يقوم بزرع الشريحة، وسأستعد للسفر إلى الوطن، لقد حان الوقت لزيارة بيت جدي لكن استوقفتني كلمته «أنا منه ومقابلة مجدون».. من هم؟، لا أعلم ما نهاية تلك الألغاز الشائكة.

استيقظت صباحًا وذهبت إلى المشفى، وجدت الدكتور علي يبتسم لي ومعه طاقم التمريض.. تم الزرع سريعًا ولم أشعر بالفرق، ولم يزيلوا شريحة اليد، نعم هذا هو النظام الجديد.. أن تصبح أجسادنا مليئة بالشرائح.. ذهبت إلى البيت وأنا بكامل صحتي وقبل أن أتصل بالهاتف لحجز التذكرة وجدت شركة الطيران تتصل بي لتؤكد الحجز غدًا في السادسة صباحًا، لا أعلم كيف حدث ذلك.. وبعد تفكير علمت أنني لا أتمتم بشفتي على ما أريده.. هذا هو الحل، إنهم يأخذون إشارات المخ وعند إصدار الصوت يسمعون الكلمات ومن هنا يعلمون كل شيء عنا، الشريحة تعمل جيدًا، لكن الهرمون هو المتوقف فقط لذلك يجب أن أكون حذرة منذ اليوم وتبديل كل أفكاري ورسائلي بك يا قلمي العزيز.. نمت مبكرًا حتي لا أتأخر عن الطائرة غدا.

****

يوسف و فاطمة

رأيت جدي أمامي كأنه حقيقة، لا أعلم هل أنا يقظة أم غلبني النوم، اقترب مني وقال:

- كيف حالك يا فاطمة.

- الحمد لله.. كنت أتمنى منذ فترة طويلة أن أراك يا جدي.

- تعالي معي ولا تخافي.. ليس هناك وقت يا ابنتي.

وجدت جدي يمسك يدي كطفلة وأدخلني بيته وأرشدني إلى صندوق مدفون تحت قبو المنزل، فسألته:

- ما هذا يا جدي؟

- إنه السر والقبو مليء بالنور، إنه مصلى.. خذي هذا المفتاح يا فاطمة.

- أي مفتاح هذا؟

- إنه مفتاح المنزل.

استيقظت بدون خوف أو قلق ولكنني نسيت أن أسأله من هم مجدون، أتعلم أيها القلم أنا أخشى علي عقلي من الجنون، كن معي ولا تتركني حتي نتشبث باليقين.. جمعت أوراقي وكل ما أملك وذهبت مسرعة إلى المطار وركبت الطائرة و انتهت الرحلة وأنا أقرأ، نزلت مسرعة وأخذت سيارة أجرة إلى بيت جدي، لم أشعر بالوقت طوال الطريق، كنت أتمنى أن أرى أبنائي أولًا لكن الفضول يقتلني أكثر.

دخلت المنزل، كان كما أتذكره بالضبط، باب من الحديد وحديقة صغيرة وباب آخر خشبي قمت بفتحه بنفس المفتاح وصعدت الدرج لأجد بابًا ثالثًا، يفتح بنفس المفتاح أيضًا ودخلت لأجد بهوًا كبيرًا حيث استلقت أريكة كبيرة وشاشة تلفاز قديم، أعتقد أنها لا تعمل، فلا يوجد بث في عالمنا، وجهاز كمبيوتر نقال كبير لحد ما وقديم كنت أراه دائمًا مع جدي، وفي نهاية البهو تقع حجرة مغلقة، فتحت بنفس المفتاح، دخلت وجدت مكتبة جدي بها كم هائل من الكتب ومكتب به درج صغير فتحته فإذا بداخله درج خفي فتحته لأجد أوراقًا بخط يد يوسف كتب فيها بحيرك أيها القلم.. أشعر بذلك

****

أوراق يوسف

سيداتي.. وسادتي وسيداتي.. لا تتعجب يا صغيري فالأنا عندهم عالية ونحن يا بني لا نريد أن نُرمى من فوق الأسوار العالية، ونتلاشى كالغبار مع أنه شيء صعب المنال.. هيا.. هيا كفاني ثرثرة.. ألوح بيدي كثيراً.. أنا أقص وأنت تسمع وتدوّن المسرحية الهزلية وآسفة يا بني لأنني أقحمتك في مسرحيتي، فلا تنسَ أنك سرت بأحشائي وجعلت ظهري كالحديد، واعلم أن انتقام القدر جعلك لا تتكلم وجعلك غائبًا في النفق العتيد.. ما رأيك أن نجعلهم يذهبون قليلًا إلى هناك.. الأطفال.. أنت تنظر لهم بعين الشفقة.. لينامو قليلًا و لينظر السادة والسيدات إلى مسرحي الهزيل..

عزيزي أزح الستار تجد نساءً على اليسار منهم السيدات وأخريات من الجواري وعلى اليمين رجالًا كالفراعنة والآخرين كالعبيد، لا تتعجبوا.. أترى يا صغيري يفتحون أفواههم وتجحظ عيونهم، لا أفيقوا.. انظروا إلى ملابسكم سوف تتبدل.. الصمت.. لا تتعجبوا.. أنتم مَن حضرتم وأردتم رؤية العجب.

أنا بالسيرك يا صديقي أستمع لامرأة تقوم بالألعاب السحرية وواضح أن لديها ثأرًا معنا نحن الرجال لكن العجيب أنها قالت:

- أنت.

- أنا؟

- لا.. لا.. يا سيد.. فأنت من الفراعنة، أنا أقصد العبد ذا العين الزرقاء الذي يرى ما هو ليس مباحًا.. ألم ترَ نفسك بعد وأنت بقدمك علّة؟.. ألم تفهم يا من تُدعى يوسف يا ابن أمينة، أيها العبد لدى السيدة التي تجلس على اليسار.. فأنت كلبها الوفي يا صديقي.. ألم تفهم بعد؟.. تدعي وفاءً لذات رداء كليوباترا، فهي قبلت بوجودك حتى لا تذهب إلى شبح العنوسة.. ترى حبًا في عينيها؟.. أنا أراها تمتلك

يا صغيري.. إنك تضحكني وأنت تنظر وأنت فاتح فاك.. لم تزوجتها؟.. لأنها رضت بك؟.. يا لسخرية الحياة.. لو انتظرت قليلًا لكنت تزوجت ابنة سلطان.

يا لها من شيطانة.. اقتربت وهيا تضحك وتظهر أسنانها المذهّبة.. لا أعلم ملابسي بالفعل تبدلت والرجال يرتدون مثلما قالت.. حتى النساء.. أنا بعالم آخر يا قلمي أقول لها يا عزيزي وأنا بداخلي دهشة الضعيف:

- أنا؟!

- أخيرًا فهمت.

- تعال يا يوسف بجوار ابني الصغير عذاب

- كيف علمتي باسمي؟

- لا تسأل.. أنا فقط من يسأل.. أنا فقط من يتكلم.

لتذهب إلى أذني مسرعة كالبرق وتقول:

- اسأل عبيد عن دلوكه.. سوف يقول لك حظك السيء قادك إليها.. أنت أنقذت أخاك لكن أمك ماتت بالممر العتيد، وما أزعج السيد أنك حررت الروح من براثنه.. لن يتركك.. اسأل عبيد عن لعوب وأشعل من يكون واسأله فهو يحوي بغرفته المظلمة أكثر مما تتخيل، اسأله وسوف تعلم من هو السيد.

تملكني الرعب يا صديقي ولا أعلم من هذه المرأة المجنونة ذات الشعر الأبيض المسترسل على كتفيها وتفزح من فمها رائحة الأثاث القديم قبل أن تقول:

- أغمض عينك.. ألم يعلمك شيخك كيف تغمضها؟.. لكنني سوف أقول لك ما سوف يجعلك تذهب إلى داخل الممر العتيد واعلم أنني أعطيك ميزة لم يأخذها غيرك، لكن سيدي أراد ذلك وعلي الطاعة يا ابن أمينة وحفيد رحيم، سوف تستمتع كثيرًا.. تذكر وجهي ستراه كثيرًا أيضًا.. هههههه.. كم أن ضحكتي

مميزه.. أغمض عينك.

لا أعلم لماذا أغمضت عيني يا صديقي، لكنني بلا إرادة لأجد نفسي داخل ممر قاتم .. أري أمي تشدني من ذراعي لتقول:

- يا الله إنها المجنونة دلوكه.. ليس مسموح للأحياء بالعبور، حتي الشياطين والجان والأرواح المعذبة، المميزون من الجان هم فقط يذهبون إلى آخر النفق هل تعلم من هم؟

- لا.

- القرين أو التابعة كما تحب أن تطلق عليه.. هم يسترقون السمع.. هم يعلمون الكثير.. اذهب بني من هنا.

أفيق لأجدها تصرخ فيّ قائلة في عصبية:

- لم آمرك أن تفيق.. أتعلم من هذه المرأة التي رأيتها؟

- إنها أمي، لا تريدني أن أدخل لآخر الممر حتي لا أرى ما ليس مباحًا وأمرتني أن أبتعد.. ثم تلاشت برداءها الأبيض..

ازداد غضب دلوكه وقالت:

- عليك اللعنة أنت وأمك.

لأجد نفسي أمسك فمها بدون خوف وأقول:

- إذا ذكرتي أمي بسوء قسمًا بجلالته وعزته صاحب السماء لأقتلنك.

أبعدت يدي وسارت بظهرها حتي ارتمت على الأرض وهي تقول لي:

- أيها الضعيف ناكر جميل أمك ومستمع لسيدتك، أيها العبد ذليل الفقر.. أتسخر

مني؟.. اسأل عبيد من تكون دلوكه وسوف يجيبك أيها الجاحد.

لأجد عيني تفيض بالدمع وجسدي مشلول.. قبل أن تقول و الستار يغلق:

- انتهت المسرحية.. ليفق الجميع.

لأجد نفسي جالسًا كما كنت بجوار أبنائي وزوجتي والجميع صامتون إلى أن جاءت الفقرة التالية.. فقرة المهرج لكن الكل متعجب مما رآه.. زوجتي صامتة تنظر لي بغضب مكتوم.. تزول الغيمة عن الجميع مما يفعله المهرج، فتضحك البراءة، إلا أنا.. حتى أتي إليّ المهرج وقال لي:

- يكفيك رعبًا اليوم.. اذهب من هنا أنت وأسرتك ولا تعد مرة أخرى.. ابتعد عن دلوكه.

ذهبت إلى بيت أبي لأمكث معه قليلًا، خاصة بعد وفاة أمي، لأجد نفسي مرتميًا على فراش حبيبتي، كم تمنيت أن تكون بجواري ناظرًا ابتسامتها في بحر الحنان لأنسي هموم العالم أجمع.. وأعلم أن لنا لقاء المشتاق إلى حبيب الله.. حفظك الله أمي.

قطع أبي آلام الفراق وجلس بجواري ممسكًا وجهي وقال:

- يا بني.. إن الله هو الباقي.. أنا أعلم أنها تعذبت، لكن الله لا يضيع آلام العبد، لم أعلم أنك مرهف إلى هذه الدرجة يا بني.. ما رأيك أن نذهب إلي قبر أمك ونحضر طعامًا كثيرًا ليأكل المساكين ويدعون لها.

فرحت بكلام أبي وهو مبتسم وقلت:

- نعم يا أبي.

- بعد غد نذهب إن شاء الله.. استأذن أنت من العمل ونأخذ سيارة أجرة وسأنتظرك هناك وسأعطي وفاء مالًا لتذهب وتشتري اللحم وعلب والأرز.. ما رأيك أن نأخذ الأولاد ليوزعوا بأيديهم الأطعمة؟

- نعم موافق وأنا سأذهب مع وفاء لشراء المتطلبات غدًا؟

- كما تحب.. هداك الله يا ولدي.. لكن قل لي ما شكل هذا السيرك؟.. هل يشبه السيرك كما بالماضي؟.. هل تتذكر رأس الطفلة الصغيرة المحفوظة بزجاجة.. والرجل عندما مرر بيدي السكين ولم تقطعها، وأيضًا الرجل الذي علم اسمي واسم أمي وأسماءكم وقال لك أنت غدًا سيكون لك شأن.

- نعم يا أبي.. لكن اليوم لا يشبه الأمس.. اليوم الرعب أكبر.

- احكِ لي.

- لا شيء ذهبت سريعًا لأجل فاطمة.

- حفظها الله.. عندما تذهبون اتركوها لي حتى أرعاها.

- يا أبي أنت مريض وتحتاج إلى رعاية.

- بالفعل يا ولدي لقد أكل المرض جسدي.. لا أصدق أن بعد غد ستكمل أمك شهرها الرابع بالقبر.

- رحمها الله.

- هل تكلمت مع أم شهد؟

- نعم وطلبت منها مسامحة أمي.. فقالت الله يسامحها ويسامحنا.

- اللهم آمين.. زوجها توفي اليوم.

- يا الله.. وكيف علمت؟

- جارتنا أم أحمد أخبرتني عندما كنتم بالخارج.. اذهب وقدّم لها واجب العزاء غدًا بعد العمل أنت ووفاء واتركا لي الأولاد.. وبعدها اذهبا للتسوق.

- حسنًا يا أبي.. حفظك الله.

- هل ستنام في حجرة أمك؟

- نعم.

- حسنًا يا بني.. تصبح على الخير.

- وأنت أيضًا يا أبي.

خرج أبي يا صديقي وخرج مني النحيب على أمي، ولأحزن على أبو شهد، أنا لم أره إلا مرتين، لكن الحزن تملكني ولا أعلم لماذا؟.. اتصلت بمحمد أخي وقصصت عليه ما حدث، فاتصل بأم شهد وقام بتعزيتها وعاود الاتصال بي وقال:

- شهد تزوجت وحُرمت من أن تكمل تعليمها.

- لا عليك يا محمد.. حمدًا لله أنها بخير.

- لكن كيف حالك؟

- أنا بخير والحمد لله.. أتعلم أن المملكة تدرس معالجة المياه بالنانو؟

- وما هو النانو هذا؟

- هذا موضوع يطول شرحه.. لكنه خبر ممتاز جدًا.

- المهم أنك بخير يا محمد.

- أوصل سلامي للجميع.

- حاضر يا أخي.

****

صباح اليوم التالي

الطريق الملعون

استيقظت عند الفجر على صوت أمي تقول:

- أفِق.. أنا بانتظارك.

فرحت لوهلة برؤية أمي، لكني انتبهت فجأة.. هل رؤية الموتى بالأحلام حقيقة؟.. دخلت مكتبة أبي الصغيرة والممتلئة بكتب في الدين والأدب، فهذا مما كان يحب قراءته للبحث عن حياة البرزخ أو ما بعد الموت، فوجدت كتابًا للعلامة بن القيم الجوازي عن الروح.. لأجد هاتفي يشق بصوته عنق الليل.. لا أنكر يا رفيقي أن بروحي قلق تجاه الاتصالات الليلية.. فذهبت مسرعًا لأرى المتصل فكان الشيخ عبيد الذي أجبت اتصاله قائلًا:

- السلام عليكم يا شيخ عبيد.

- أيقظتك يا بني؟

- لا والله يا شيخ.. كنت أقرأ قليلًا بعد أداء صلاة الفجر.

- فتح الله عليك.. أريدك أن تأتي معي اليوم بعد عملك.. نزور رجلًا عليل الروح ثم نشرب فنجان الشاي في بيتي.

- بالطبع أنا تحت أمرك.

- الأمر لرب العباد ولا يأمرك ظالم يابني.

أنهيت كلامي بأن هناك أمر هام يجب أن أقوله له أنا أيضًا، قبل أن يتناهى إلى مسامعي صوت خطوات تشي باستيقاظ أبي، فأخبرته عن الشيخ عبيد فقال:

- لا بأس.. وفاء ستشتري ما يلزم وغدًا اذهب أنت وزوجتك بعد العمل إلى

أم شهد.

- حسنًا يا أبي.

تناولت الشاي و الكعك المحلي بالسكر وارتديت ملابسي وذهبت إلى عملي وما أن أنهيته، حتى اتصلت بالشيخ عبيد الذي أخبرني بعنوان يقع بحي راقٍ حيث يسكن الرجل، توجّهت من فوري إلي العنوان، ولكنني تعجبت لماذا يريدني الشيخ في جلسات العلاج؟.. فأنا لست شيخًا أو طبيبًا.. طرقت الباب ففتحت لي سيدة كبيرة السن.. قصيرة القامة، لكن سبحان مَن خلق فسوى وأبدع، لقد ملأ النور وجهها وقالت:

- أنت يوسف؟

- نعم.

- ادخل يا بني الشيخ عبيد وابني طه ينتظرانك.

الشقة راقية يا صديقي لا تقل فخامة عن شقة الشيخ عبيد فطرقت باب الحجرة، ففتح لي شاب في الثلاثين وقال:

- السيد يوسف تفضّل.. انتظرتك طويلًا.

تعجبت وتسائلت بداخلي.. ينتظرونني أنا؟!.. لماذا؟

- السيد طه يا يوسف.

- أهلًا وسهلًا.

- استمع يا يوسف لما سيقصه عليك طه.

فنظرت بتودد نحو طه الذي تنحنح ثم قال:

- لقد رأيتك في حلم حلمته.

- أنا؟!

- نعم سأدخل بالموضوع مباشرة.. أنا هاجرت إلي الخارج وتركت أمي وأبي وللأسف توفي أبي وأنا بالغربة وتزوجت وأنجبت وعدت بعد وفاة أبي لأرعي امي وأسافر ثانية.. وفي أول زيارة لي بعد وفاة أبي وجدتها حزينة لأن إخوتي يريدون بيع شقة والدي.. فاتصلوا بي بعد حصولهم على إعلان الوراثة وأمي وافقت كرهًا، وأنه يجب الذهاب للبنك جميعًا لأخذ التركة والقيام ببيع سيارة أبي أيضًا.. وبالفعل تم كل شيء.. واستأجرت شقة لأمي في حي آخر.. أمام المنزل طريق كل من يعبره يصطدم ويموت وليس هذا فحسب، بل إذا مر اثنان فإنهما يتشاجران إلى حد الموت، لكن كل هذا لا يهم الحوادث تتكرر بسبب او غير سبب.

- وما دخلي أنا بكل ذلك؟!

نظر لي الشيخ عبيد بعتاب وقال:

- اصبر قليلًا ولا تتعجل يا يوسف واترك الرجل يكمل.

- آسف.. أكمل يا سيد طه.

- المهم أنا حلمت أنني ملوث بالدماء والمنزل مليء بالدماء وما تعجبت منه أنه لا يسكن أحد غيرنا في المجمع السكني إلا وغادر.. فسألت أحد الأصدقاء وعلمت أن السبب الطريق بسبب كثرة الحوادث.. قالوا بأن هناك رجلًا كان صعب المراس والمعاشرة مع زوجته، فكان دائم السباب لها وأنجبت منه ثلاث فتيات، ثم تزوج امرأة أخرى لتنجب الولد ولكن السيدة لم تحتمل وجود امرأة أخرى، فماتت وهي تعبر الطريق وكانت تبكي لأنها كانت تري زوجها يعامل الزوجة الأخرى بحب وود رغم إنجابها منه فتاتان هي الأخرى، فاعتبرت أن سبب الزواج هو كره الزوج لها وحب الأخرى وأثناء عبور السيدة الطريق؛ ألقت بنفسها تحت عجلات إحدى السيارات المارة، وللأسف مات جميع الأبناء بتلك الطريقة حتى الزوجة الثانية والزوج، فأصبح اليوم الطريق ملعون. تسألني ما دخلك بهذه القصة؟.. لقد مكثنا أنا وأمي في المنزل ولم يهدأ الحال، بل ازداد.. كان يُكتب اسمك على الحائط يوسف بن

أمينة.. رأيناها في النفق، فأخبرت الشيخ عبيد، وذهبت إلى الدجالين ولم يفلح الأمر، لنجد الجدران فجأة أثناء حديث السيد طه تُكتب عليها بدماء حمراء.. «دخلت النفق وسوف ترى ما لا تحبه يا يوسف»

صاح الشيخ عبيد وهو يعقد ما بين حاجبيه:

- من أنت؟.. أيًا ما كنت فابتعد عن أهل هذا الدار.

- أنا لعوب.

لتمتليء قلوبنا بالرعب جرّاء ضحكاته العابثة والدماء والأثاث الذي يتطاير في كل مكان فيتحطم..

- ألم تقل له يا عبيد؟

فنظرت إلى الشيخ عبيد مذعورًا، وانتهي كل شيء فجأة كما بدأ فجأة.. لكن الشيخ قطع دهشتي وسال الرجل:

- أين يقع هذا البيت؟

فأعطاه العنوان.. فقلت له:

- وكيف توصلت لي والشيخ عبيد؟

أجابني قائلًا:

- أمك السيدة أمينة هي مَن استأجرت منها المنزل يا سيد يوسف وأعطتني هاتف السيد عماد صديقك وعندما قصصت عليه ما حدث قال إن السيدة أمينة توفاها الله وأعطاني هاتف الشيخ عبيد وعندما قصصت عليه ما حدث منذ أكثر من شهرين طلب مني التريث حتي تأتي وتسمع كل شيء بأذنيك، يا سيدي عندما يعبر أحد الطريق أو ينظر إلى البيت يحدث له حادث ويموت من فوره، أعطيت المفتاح لجاركم السيد سعد كما طلبت والدتك، يا سيد يوسف إن ما يحدث سببه مرتبط بك لا أعلم ..ولكن البيت ملكك بالفعل.

غادرنا وركبت السيارة صامتًا إلى أن وصلنا إلى بيت الشيخ عبيد، وسلمت على أهله، ثم استأذنت مع الشيخ من زوجته ودخلنا الحجرة المبطنة بالجلد، قلبي تتصارع نبضاته يا صديقي، أريد أن أعلم ماذا يحدث.. بدأ الشيخ حديثه قائلًا:

- أنت لا تعلم شيئًا عن البيت.

- بالطبع لا.

- هناك شيء مفقود.. طريق ملعون لموت امرأة معذبّة.

- أريد أن أسالك.. مَن لعوب هذا؟

- الشيطان.. لوسيفر.. رجيم.. أيًا كان اسمه.

- ولم ظهر؟.. وماذا يريد مني؟!

- لعوب يحارب كل من هو نوراني حتى يجعل المتنورين يسيطرون علي العالم.

صمت قليلًا ثم قصصت عليه ما حدث مع دلوكه الساحرة وابنها الأصم فقال:

- الملعونة أدخلتك هناك إلى هناك؟.. ماذا يريد لعوب؟ أعلم أنه يحب العبث لكن لماذا أنت؟

- لا أعلم.. أنا أصلي.. فكيف...؟

قاطعني الشيخ قائلًا بحسم:

- اسمع يا يوسف لعوب وأبناءه من الإنس والجن يتربصون بالإنسان وعندما ينشغل بالحياة ويبتعد عن ذكر الله، يبدأ باستخدامه والسيطرة عليه، لا أنكر أن هناك منا أقوياء الروح ومنا ضعيف.. مثلًا رجل ضعيف أعطاه الله مال فأخذه وذهب ليتبضع ويشتري ما لذ وطاب ولم يخطر بباله أن للفقراء

وأهل بيته لهم جزء من هذا المال.. فيبحث عن الملذات ويتناسى الضعف والعوز وتبدأ المعاصي.. تتدخل الروح فتبدأ الروح بالبعد عن العبادة شيئًا فشيئ.. حتى يصبح من القوم الذين نسوا ذكر الله فأنساهم أنفسهم..

- دلوكه عبدت لعوب.. ولماذا أطلقت على الشيطان اسم لعوب؟

- لأنه يتلاعب بنا دائمًا و يسخر منا عندما قال لعوب لا أتذكر الماضي.. هو لم يترك أحدًا يدخل البوابة، ولو أطلت روحك عند بابها؛ يتلاعب بك للدخول كما حدث معك حتى جعل الملعونة تجعلك تدخل.. المهم دعني أكمل حديثي عن المرأة الملعونة دلوكه.

- تفضل.

- كانت فتاة صغيرة تلعب بالدمي، فنظرت إلى قبو منزلها، فتجسد لها الشيطان بشكل طفل، فلعبت معه ولم تخف وأصبحت منطوية، وكانت لعبتها المسلية عندما يطلب منها الشيطان أن تحضر له قطة، فتتلذذ بتعذيبها، وكلما كبرت الفتاة واللعوب يتجسد بجسد طفل بعمرها فقال لها ذات مرة:

- إذا أردت السعادة الأبدية، فأعطني دماءً نقية.

لم تتأخر عن تلبية طلبه، فهي من كانت تحضر القطط، فتزوجت ابن عمها وأنجبت منه طفلة صغيرة، أخذتها بدون علم أحد وذبحتها، وأمرها لعوب أن تقوم بطقوس لعبادته فتجسد لها بشكله، ورغم ذلك لم تخف منه، فقد كانت ناضجة بما يكفي لتستوعب وتعلم مع مَن كانت تلعب.. تعلمت منه السحر كما علم غيرها من قبل..

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- أصبحت عبدة له.

- وكيف أنجبت؟

- الشيطان أراد إغواء رجل دين، كان شديد التدين وكانت دلوكه جميلة وهذا الرجل صارم متدين حافظ لمبادئه وتعاليم دينه، وكان ناشطًا لحقوق الفقراء والمساكين، وهذا لم يعجب لعوب بالطبع، فأرسل دلوكه إليه وعندما كانت تنجب له طفلًا يموت ميتة بشعة، فأحست أم الزوج بتغير ابنها المتدين فتعجبت، أصبح يشرب الخمر، وأدمن على المخدر.. فجاءت الأم إلى بيت الابن لتمكث معه فترة من الوقت، وبالطبع دلوكه سيئة الخلق كانت تعامل أم زوجها بقسوة والأم بداخلها خوف يؤكد أن هناك سوء أصاب ابنها، فأصبحت تراقب دلوكه فكانت عندما تأكل تجد اللحم المطبوخ أصبح نيئًا، والدماء تنزف من فهما وأحيانا تتكلم بصوت أجش، وحين تخبر ابنها يتهمها بالجنون، ويتطاول عليها بالسب والضرب أحيانًا، فاستنجدت الأم برجل دين وقام بعلاج الرجل روحيًا ونفسيًا، وكان رجل الدين صديقا لي فحكى لي حكايتها.

- حقًا امرأة ملعونة... تستحق القتل.

- بالتأكيد لكن يجب أن تُطهر نفسك يا ولدي من العصبية، لأن لعوب يدخل من أي جهة حتى يسيطر علينا.. دعني أكمل لك حكاية الملعونة.. وبغياب دلوكه عن البيت أحضرت الأم رجل الدين وبالفعل ظهر لعوب بالوعد وكان شرسًا فأخذت الأم ابنها وذهبت.. فأحست الملعونة بكل شيء لكنها كانت تريد الخلاص من الزوج لأنها أصابها الملل منه، لكن شاء القدر أن يدخل بأحشائها طفل منه وعندما علم لعوب أن التلميذة تلاعبت وهي تعلم جيدًا بشكوك أم الزوج وتركتها لتحضر رجل الدين.. فعاقبها بأخذ بصرها وبطفل أبكم وجعلها ضائعة.

- يا الله.

- لا تتعجب يا يوسف.. ولكن فكّر كيف ستواجه الأمر.

- سأفعل ولكن اسمح لي بالاستئذان الآن.. لقد تأخر الوقت.

- انتظر سأصلي معك العشاء في المسجد.

- بارك الله فيك يا شيخ عبيد.

نزلت معه لأجد امرأة فقيرة تنقب عن الطعام في القمامة فدمعت عيني فقاطعني الشيخ عبيد وقال:

- يوسف تعال معي.. أريد شراء طعامًا سريعًا حتى لا تتأخر على الصلاة.

فأحضر خبزًا وماءً وعصيرًا وبعض الجبن الفاخر واللحم المقدد واللبن وذهب للمرأة الفقيرة وأعطاها الطعام وذهبنا للمسجد و انتهينا من صلاة الجماعة ليسالني قائلًا:

- عندما رأيت المرأة أمام القمامة كنت تبكي لماذا؟.. فأنا متعجب.. ألا تري هذا كل يوم؟

- أراه دائمًا وفي كل مرة أبكي.

- نعم إنه شيء محزن.

- ليس هذا فقط.. أنا أتذكر نفسي في يوم لم يكن هناك طعام بالبيت.. نفذ المرتب ولم يتبق إلا القليل من المال معي، فأعطيته لزوجتي ونزلت سيرًا إلى عملي مبكرًا.. استغرق السير وقت طويل وقدمي تؤلمني.. فركبت سيارة نقل محملة بالناس، وتهربت من دفع الأجرة إلى أن لاحظ المحصّل فقلت له بصوت منخفض:

- ليس معي مال وأريد الذهاب إلى العمل.

فذهب وتركني، ولأجد رجلًا كبيرًا بالعمر يعطيني عشرين جنيهًا ويقول لي «فتح الله عليك يا ولدي».. حاولت الرفض لكنه أعطاها لي ونزل محطته، فذهبت للعمل وغسلت الأكواب ونظفت المكاتب وأحضرت القهوة للمدير كنت مرهقًا وجائعًا وخشيت على العشرين جنيهًا، أحسست بأن الله أعطاها لي حتى أعطيها لزوجتي فما كان أمامي إلا كوب الشاي أشربه كنت أنظر لإحدي الموظفات وهي تأكل، ورمت نصف الطعام بالقمامة لم أشعر بنفسي

إلا وأنا أذهب لأحضره من القمامة وآخذ بيدي الطعام لآكله، كانت أيامًا مريرة، أفهمت يا شيخ عبيد لماذا دمعت عيني؟.. الفقر مر.. يمر بالحلق.. ويصعد للروح ليسكن بها ليشيخ صاحبه ويزيده ضعفًا..

- أنت صغير على هذه الحكمة يا يوسف.

لأبتسم له ضاحكًا وأقول:

- لو كان الفقر امرأة لطلقتها.. ولو طفلا لتركته، ولو كان رجلًا لضربته لكنه أنا فماذا أنا بفاعل؟

دمعت عينا الشيخ من كثرة الضحك وقال:

- يكفيني ضحكًا.. الحمد لله أصبحت الآن أفضل بكثير.

- نعم الحمد لله.. أتعلم؟!.. عندما آكل أخشى على اللقيمات الصغيرة المتبقية أن تُرمى.. فأتركها وآكلها بعد ذلك.

- وما العيب في ذلك؟.. زوجتي لا ترمي ما تبقي من البيت، نأكله نحن وعندما تتصدق تشتري طعام جيدًا للفقراء ليس ما تبقي منا.

- فتح الله عليها.

كان الحوار جميلًا لكنني تأخرت على البيت، ووصلت حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل لأجد والدي ينتظرني، فقصصت عليه ما حدث فابتسم وقال لي:

- احمد الله يا ولدي.

أتعلم أيها القلم العزيز؟!.. أريد أن أثرثر معك، لقد اشتقت للكلام معك، فأنت من تجعلني أتماسك لأكمل بحبرك ما تبقى من آلام الماضي، في يوم ما مرضت ابنتي خديجة، كانت تتألم بشدة، والساعة التاسعة مساءً ولا أملك المال الكافي ومركز الصحة مغلق، أخذتها زوجتي بأحضانها وحاولت الاتصال

بأهلها ولا مجيب، فنظرت إلى خاتم الزواج وقالت "هذا هو الحل".. فهززت برأسي عاجزًا.. ذهبنا إلى الصائغ الذي رفض شراء الخاتم بدون الفاتورة بكت زوجتي وقالت "ابنتي مريضة وتموت".. فرق لها الرجل وأعطاها ثمن الخاتم، فأخذت المال وذهبنا إلى المشفى الخاص.. كانت نزلة معوية، ولا مال لدي.. أخذت العلاج وذهبنا إلى البيت نتألم من عوزنا، وفي يوم ذهبت أختي إلى مشفى تبعد عني بمسافة ليست بعيدة، فقط نصف ساعة سيرًا على الأقدام، وكنا في الشتاء.. اتصلت أمي تنهرني لأني لست مع أختي المريضة، وتخبرني أنني يجب أن أذهب إلى المشفى.. وبالطبع الجيب خالٍ يا صديقي فأنت تعلم أن الفقر رفيقي.. المهم ذهبت سيرًا وانت تعلم أن بقدمي علة والمطر ينهمر على رأسي وأتصل بأختي المصون لا تجيبني إلى أن وصلت إلى المشفى فلم أجدها يا رفيقي.. كنت مبتلًا تمامًا.. وبعد برهة اتصلت بي تقول بلهجة لائمة:

- شكرًا يا أخي.. لقد أتى زوجي وسندي.

قلت لها:

- أين أنتِ؟

أجابتني قائلة:

- لقد أتممت الأشعة وبعض التحاليل والآن أنا في طريقي إلي بيتي.

وأقفلت الخط.. أتعجب من التناقض في حياتي.. أحب أمي وأكره كل لحظة في فراقها ولم أستطع إلى اليوم نسيان ما حدث منها.

أتعلم كنت سأذهب في عالم آخر لولا الشتاء والمطر جعلني يقظًا، أنظر إلى حبات الماء وهي تنزل علي الطريق.. ولم أشعر بالمطر ينزل على جسدي.. أري ورقة بمائة جنيه تلمع وسط ماء الشتاء.. لم أنت مستهزئ بي هكذا؟.. لماذا تحتقرني؟.. فهمتك أتريد أن تقول أنني فقير النفس لا المال؟.. كفاك سخرية مني وافتراء.. أنا من شاهد الفقر وليس أنت.

كفاك ظلمًا أيها القلم.. أحمد الله أن أبي يقطع حواري معك فأنت تقتلني.. حبرك يتساقط على الأوراق ليكمل العبارات...

- كيف حالك يا يوسف؟

- الحمد لله يا أبي.

- لم تأخرت؟

- أبي هل هناك طرق ملعونة؟

- كثيرًا.

- أرأيت أحدها.

- نعم بجوار عملي.. إذا عبر أحدهم الطريق دهسته سيارة.. أتعلم ضحكة البشر! هناك مشفي في الطريق ومرور أيضًا.

- وما السبب؟

- لا أعلم سمعت أن هذا الطريق به إحدي مقابر السحرة.

- وهل تصدق ذلك؟

- بعد ما حدث يا ولدي لنا أصبحت أصدق كل شيء.. يوسف كنت أريد أن أتكلم معك في أمر ما.

- تفضل يا أبي.

- أريد أن أتزوج يا ولدي.

- الآن أمي لم تكمل إلا أشهر قليلة وكنت أمس تقول لي أننا سنذهب للمقابر لزيارتها.

- يا ولدي أنا أحب الهدوء والاستقرار.. ولا استقرار بلا زواج.

- ولكن أنا وزوجتي معك.

- يوسف أنا أريد امرأة تعتني بي.. أريد راحة العقل والنفس.

- افعل ما شئت يا أبي.. لكن مَن العروس؟

- كانت زميلة لي بالعمل.. سيدة محترمة وعلى خلق.

- وفقك الله يا أبي.

- أنت تعلم أن والدتك رحمها الله كانت الآمر والناهي وأنا كنت أطيعها حتى لا أفرق شمل العائلة.

- رحمها الله.. لا أريد أعذارًا يا أبي.. علي حق لك.

- بارك الله لك يا ولدي.. لكن محمد؟!

- أنا أعلم أن محمد لن يمانع.. إنما حنان...

- لا تشغل بالك.. حنان مَن فتحت الموضوع وهي سبب الوفاق بيني وبين سمية.

- حنان؟!.. ولكن لم؟

- يوسف.. هل هناك اعتراض منك؟

- لا يا أبي.. سأذهب أنا ووفاء والأبناء إلي البيت غدًا بعد زيارة ام شهد للعزاء وقبر أمي.

- انتظر لبعد غد.. سمية ستأتي إلى الغداء لتتعرف عليها.

- أمرك يا أبي.

خرج أبي ليتركني مع آلامي وحدي.. أترى؟!.. سيوجد امرأة أخرى غير أمي ببيتنا.

أنا أتألم يا صديقي.. أنا أعلم أبي جيدًا، لا يسير بدون قيادة.. نعم آسف على ذلك.. أتعلم أنني أشبهه، لكنني لن أكون مثله.. أنا مرهق يا صديقي سأتركك الآن سأرتاح.

استيقظت مبكرًا وأنا متعب وذهبت إلى المقابر برفقة وفاء ومعنا أبي.. يا للعجب.. وبعدها ذهبت أنا وزوجتي إلى أم شهد.

في اليوم التالي جاءت السيدة سمية إلي البيت وتمت الأمور سريعًا، وطلب أبي مني أخذ الأثاث ومتعلقات أمي لأن العروس تريد أثاثًا جديدًا، دخلت غرفتها وفتحت خزانة الملابس، ووجدت صندوقًا صغيرًا به ورقة وزجاجة حبر ممتلئة لك يا عزيزي، فتحت الورقة فوجدته صكًا لبيت قديم لجدي في قلب العاصمة، إنه نفس عنوان البيت الملعون، لا أعلم أأفرح أم أبكي لما سأجده هناك، أخذت متعلقات أمي بسيارة إلي بيت شقيق زوجتي، صعدت وأنا أتألم لأنها كانت تحبني وأرادتني رجلًا، أتعلم أيها القلم العزيز أنني أحببت وكرهت أيامي وأنا معك، بعد يوم شاق مع العمل واستياء وفاء مما حدث، قالت:

- أين نضع أثاث ولوازم والدتك؟

- لا تخافي يوجد مكان أكبر لنا جميعًا، اتركيها على الله.

- ونعم بالله.

ذهبت إلى نومي فرأيت وكأن جدي وأمي يرتديان ملابس بيضاء وجدي يقول لي:

- غدًا ستعلم البداية.

استيقظت وأنا أتصبب عرقًا وضلوعي تؤلمني كأنني محموم، اتصلت بالشيخ عبيد وبعد برهة أجابني فقلت:

- السلام عليكم يا شيخ عبيد.

- وعليكم السلام يا يوسف.

- وجدت بمتعلقات أمي صك ملكية لبيت قديم يملكه جدي لا أعلم عنه شيئًا، غير أن العنوان الموجود بالصك يشبه عنوان البيت الملعون.

- اسمع يا يوسف سآتي إليك بعد ساعة من الآن لنرى البيت والله معنا.

انتظرت الشيخ عبيد أمام مسجد قريب من بيت أبي والأفكار تتصارع بعقلي، اتصلت بمحمد أخي وقصصت عليه ما حدث بأمر البيت وأن زفاف أبيه قد أوشك، كان حزينًا ومتألمًا وقال لي كلمه عصرت فؤادي، كم نحن البشر ضعاف النفس والهوى أيها القلم الكئيب قال:

- الحمد لله أن بيت أمي سيبقي مفتوحًا بوجودك يا يوسف، ولن أذهب إلى بيت امرأة أخرى غيرها.

- أتمني من الله ذلك لكني أخشى أن يصبح الحلم سرابًا يا أخي.

- لا تخف يا يوسف البيت محفوظ، أمي كانت تخشى من البيت علينا وعليك بالأخص، واعتقدت أنه لعنة لأن جدها مات فيه مقتولًا.

- مقتولًا؟.. ماذا تقول يا محمد؟.. أنا لا أعلم أي شيء عن هذا الموضوع.

- أمي قبل وفاتها قصت علي حكاية البيت وكانت تلوم نفسها لأنها تركتك تمد يدك من العوز.

- ماذا تقول يا محمد؟

- لا تندهش يا يوسف، العالم كله مفاجأة، أكنت تتوقع يومًا ما أن يتزوج أبوك؟

- لا لكنه حقه.

- نعم لكن أمي لم تكمل شهورًا بقبرها يا يوسف، إنها أختك الملعونة.. أنا أكره وجودها.

- لا عليك يا أخي.. انسَ الألم يا أخي والحمد لله أن جمع شملنا مرة أخرى، وإذا كان لنا بيت.. ماذا نحتاج بعد ذلك؟

- إنه بيتك يا يوسف.. وحدك.

- لا بالطبع وبيتك أيضًا.

- اسمع يا أخي.. أمي قالت لي أن أخبرك أمرًا مهمًا إذا علمت بأمر البيت، اذهب إلى السيد سعد جار أمك وأبيك، فإنه يعلم تاريخ المنزل ومعه المفتاح.

- لماذا هو؟

- كان جار لهم.

- سأفعل بإذن الله يا محمد.. وسنفرح بك عن قريب.

- بالطبع يا أخي.. أعزك الله.

أنهيت المكالمة، إلا أن عقلي لم يتوقف عن التفكير، ولم أقص عليه حكاية المستأجر، جاء الشيخ عبيد يا قلمي العزيز وقصصت عليه ما حدث بيني وبين محمد، وصاحبنا الدكتور أحمد إلى بيت السيد سعد حتى تتضح الرؤيا قليلًا عن البيت، وبالطبع لم نقص شيئًا على المستأجر، وجدت أبي ينظر من النافذة وأنا أدخل البيت ولم يعلق على شيء، ولم يتصل ليسأل ماذا يحدث؟ كأنه يرحب بما يحدث، حتي يفرح بعروسه الجديد.. طرقت الباب وسمح السيد سعد لنا بالدخول وقال:

- أحمد الله أنني لم أمت قبل أن أعطيك مفتاح البيت.

- كيف حالك يا سيد سعد.. أنا أدعى الشيخ عبيد وهذا الدكتور أحمد أصدقاء يوسف.

- الحمد لله.. أهلًا بكم جميعًا.

- ماذا يوجد في هذا البيت؟

- لا أعلم يا ولدي.. عندما تذهب إلى المنزل غدًا ستجد الإجابة، ولا تنسَ الطابق الأول لك كما أوصى جدك والثاني لمحمد كما أوصت أمك، أما أثاث أمك فسيكون من نصيب محمد، والطابق الأول به أفضل الأثاث فلا تأخذ إلا ملابسك أنت وأسرتك ودعني أرحب بالشيخ والدكتور أحمد.

- لكن لم معك المفتاح؟

- إنها وصية أمك يا بني.

- ولمَ لم يقل لي أحد؟

- كل شيء بأوان يا ولدي.

انتهت المقابلة بورقة بها شرح واضح للعنوان بدون إجابة لأي سؤال، وفي الطريق تمنى عبيد وأحمد لي السلامة.

جفاني النوم أيها القلم ولا أعلم متى تنغلق عيني؟.. غفلت بعض الوقت، لا أدري كم مرّ علي من الوقت إلى أن استيقظت على صوت جدي يقول:

- جاء اليوم أيها المجدون.

نظرت إلى جدي بتعجب فوجدته ينظر لي مبتسماً ويقول:

- لا تسأل من هم المجدون، فستعلم كل شيء بعد قليل يا ابن أمينة وقرة عيني.

- هل أنت منهم؟

- ستعلم بعد قليل.. اذهب الآن.. فاليوم سيكون شاقًا.

وفاء قامت والفزع يملأ قلبها وقالت:

- ما بك؟.. أحسست بأن هناك ظلًا وسمعت صوت رجل ولكن لم أستطع تفسير الكلام، وجسدي شلت حركته.

- لا شيء.. لابد أنك تتوهمين، سأغادر الآن، وأنتِ احزمي أغراضنا.. لا تأخذي شيء سوى ملابسنا، وأنا سأحضر سيارة لنقل أثاث أمي عند محمد بشقته.

- محمد سيمكث معنا.

- نعم.. هل هناك ما يمنع؟

- لا.. ليس لي شأن بذلك، لكن هل البيت كبير؟.. وماذا عن أثاثنا.

- البيت يتكوّن من طابقين.. الطابق الاول لنا بأثاثه عملًا بوصية جدي والثاني لمحمد عملًا بوصية أمي.

- أدام الله بينكما المحبة.

ارتديت ملابسي وأخذتك معي أنت والأوراق المبتلة لأدوّن وصولي للبيت ولا أعلم ما هي الحكمة.

وقف القطار في العاصمة وتسارع قلبي بدقاته كأنني أعدو، أعطيت العنوان لأحد المارة ليرشدني إلى العنوان فقال:

- المنزل ليس بعيدًا عن هنا، اركب إحدى سيارات الأجرة، لكن لماذا هذا المنزل إنه مهجور منذ زمن بعيد وعليه تحوم الأساطير بسبب الطريق الملعون.

- إنه منزلي.. ورثته عن جدي.

- أهلًا بك.

ألقيت عليه التحية وركبت إحدى سيارات الأجرة حتى وصلت إلى المنزل، وجدت رجلًا ينظر لي نظرة حادة من نافذة البيت المقابل للمنزل، التفت ناحية البوابة الحديدية فوجدتها مفتوحة، وكأن البيت يستعد لاستقبالي، دخلت لتترائى أمامي حديقة كبيرة مليئة بالأوراق الذابلة المتساقطة والأشجار الخضراء، بينما رائحة طيبة تعطر المكان وصوت التوحيد لأناس أصبح في أذني

كأنه الطبل.. «الله الله الله الله».

تسلل الاطمئنان إلى قلبي رويدًا رويدًا.. وأخرجت المفتاح من جيبي وفتحت باب البيت.. العجيب أن كل البيت يفتح بمفتاح واحد، أرى الدَرَج قديمة لكنها بحالة جيدة جدًا، والرائحة العطرة تخترق الروح، صعدت الدرج ودخلت إلى الطابق الأول، فوجدت به بابًا واحدًا مغلقًا، ففتحته ودخلت فوجدت أثاثًا راقيًا، وحجرة مكتب شبيهة بحجرة جدي، فجذبني الفضول من طرف ملابسي لأدخل، وجلست على مقعد المكتب، بينما أدراج مكتب جدي تدعوني لفتحها، وما ان فعلت حتى وجدت أوراقًا مكتوب فيها بخط جدي.. « الآن سوف تعلم من هم المجدون».

****

أوراق جدي «رسالة من أمينة»

الفضول يشع بعقلك، أعلم أنك تريد أن تعلم كيف مات جدي؟، وتتسائل كيف مات أبي؟.. ولمَ أكتب لك هذه الأوراق وما تبرير قسوتي عليك؟.. أنا لا أعلم ما هو سبب قسوتي عليك يا بني.. لكن الحقيقة يا يوسف كلنا نكتب الأوراق، ونحتفظ بها بعد وضع ما يخصنا ليقرأها أحد أبناءك أو أحفادك ليعلموا من هم المجدون.

مات جدي لأنه كان يقرأ جباه السحرة فيعرف الكاذب منهم والساحر والدجال، وفي ذات يوم ذهب إلى الحسين ووجد رجلًا يقوم بالعلاج بالقرآن للأعمى والأصم والكسيح والمخبول، وعندما ذهب جدي لمواجهته قتله ببيته في ظروف غامضة والرجل سافر ولا دليل يدينه، وترك لي علامات السحر منقوشة على جبهته، وخشي جدي من قطعة الجلد السميكة التي تغطي عينه اليمني، فاعتقد بأنه المسيح الدجال، وأنه يظهر ويختفي ويدعي البركات من وقت لآخر ويري البشر مدي إيمانهم وإذا شعر أن الوقت لم يحن بعد يبتعد، أما أبي فاختفى و لا أعلم أين ذهب؟.. ما يؤلمني يا يوسف خطاب أبي لي لقد ختم كلماته بك..

«يا أمينة.. ابنتي تركتني ولم تجعلني أرى يوسف وقد شارف عمري على الثمانين، لكنني أوصيت الشيخ عصام أبو عبيد على يوسف»

كنت أخاف عليك أن تدخل دائرة المجدون وتمر من البوابة المظلمة، وبما أنك تقرأ الأوراق الآن، فاعلم أنك أوشكت على البداية.

غفلت عيني قليلًا يا قلمي، ولم أفق إلا على صوت طرقات الباب، لأجد الجار ذا النظرة الحادة يستأذن في زيارتي، فرحبت به وقلت:

- تفضل.

- أشكرك.

- كيف حالك يا يوسف يا ابن أمينة؟

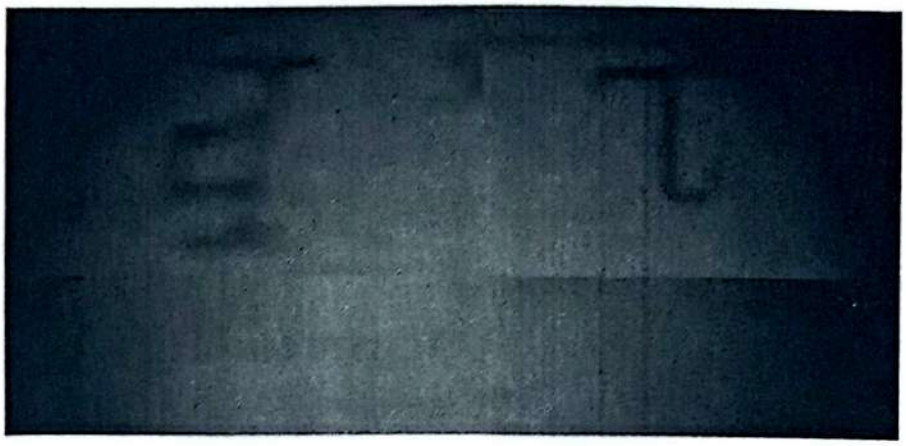

- الحمد لله.. لكن كيف علمت باسم أمي؟

تجاهل الرجل سؤالي وقال:

- يوسف خذ هذا.

- ما هذا؟

- ذاكرة محمل عليها رقية خاصة لاكتشاف المجدون.

- من هم المجدون؟

- إنهم النورانيون يا يوسف، أحلّ السحرة وأولاد الشيطان دمائهم لأنهم يرون.

- يرون ماذا؟

- يرون حقيقة الساحر، ويرون يأجوج ومأجوج والدجال، هم محاربي القوى السبع المجتمعين ضد الضلال، هم بأيديهم الراية العليا، هم جنود الله على الأرض، ليسوا أولياء لكنهم حكماء وعلماء وأدباء ومعلمين وعمال وأطباء وحكام، وموجودون بكل بقاع الأرض، فهم.جنود المنتظر هم راية الحق، سيجتمعون من كل نسل على كلمة واحدة.. الله.. كل من آمن بالله وبعلامات الرحمن هم مجدون، يطلقون عليهم أبناء الجن ولكنهم جنود

الله على الأرض.. السحرة وأبناء الشيطان هم مَن أرادوا تشويه وجودهم .

- ما هذا الكلام العجيب؟.. ما الدليل على صحة ما تقول؟

- تضحك يا ابن أمينة؟.. العالم غدًا سيضحك أكثر، أسمعت عن الشريحة؟

- نعم لكنه مجرد كلام.. هراء لن يتحقق.. لماذا تضحك هكذا؟

- لأنك غدًا ستجدها بيدك.. اسمع الرقية وستعلم كل شيء.

- أنا لا أفهم أي شيء.

- يوسف افهمني.. أيعقل أن يوجد جنود للرجيم وابنه المسيح الدجال والمتنورين وأصحاب الجماجم، ولا يوجد جنود لله من البشر على أرضه؟، جنود الله موجودون منذ قديم الأزل، ولكن أطلق الرجيم أبناءه للقضاء على قوتهم ونورهم بالسحر والتضحية بأبنائهم خوفًا من المنتظر.. «المجدون. هم قوى الخير ضد قوى الشر.. أسمعت عن الرماديين؟

- نعم.. هي كذبة أخرى وخرافة ليست جديدة، يا سيدي أنا رجل فقير أبحث عن قوت يومي لا أبحث عن الخرف والهراء.

- ليس خرفًا.. الجميع يعتقدون بأنهم يأجوج ومأجوج ولكن الحقيقة هم الجن الموكلين بأخذ أقوى أولادنا والسيطرة على قواهم ووهم السحرة والدجالين أن بدمائهم الزكية ستفتح المقابر.. إنها المعاهدة القذرة بين أقوى دول العالم وقتها والشياطين من الجن والإنس.. يوسف ماذا رأيت عندما كنت ببيت أمك؟.. تذكر يا يوسف.. أذكرك أنا؟.. طبق طائر وملامح رجل ذو عين كبيرة ووجه كبير وجسده صغير الحجم، ألم يكن يشبه الرماديين اليوم، المتداولة صورهم على الانترنت.

- نعم لكن.. من أخبرك بكل هذا؟

- أمك هي مَن أخبرتني، وأنا مَن أعطيتها حجابًا يحجب قواك لأنك مجدون قوي وضعيف في آن واحد يا ابن أمينة، أمك لم تكرهك.. أمك كانت تخشى

عليك فترجمت الخوف بقسوة.. أخبرني ماذا حدث لك عندما كنت بالمشفى قبل الانتقال لبيت جدك؟

- مرضت للغاية وانتقلت إلى المشفى إثر مرض غامض أصابني، ارتفعت درجة حرارتي بشدة، أتذكر الثلج الذي كانوا يضعونه بجواري، وأتذكر حمام الماء المثلج وهم يضعوني به، والمحاليل..

- أرأيت؟!.. لم تنسَ بعد يا يوسف.. وبعدها كيف أصبحت أعرج؟.. ومن أنقذك؟

- كانت هناك فتاة جميلة، كأنها من الملائكة ومعها أختها وزوجها وطفل دخلوا المشفى بسببه لأنه بلع حبة فول، أتذكر عندما بكت أمي من أجلي وأصرّت الفتاة أن تأخذني بدلًا من أمي لإزالة بعض الشقاء عنها أثناء الاستحمام بالماء المثلج.

- ماذا طلبت؟.. تذكّر.

- كنت أرفض خلع ملابسي خوفًا من الثلج، فقالت لي اخلعها ولا تخف أنا مثل أمك وجلست أمامي وخلعت عباءتها وحجابها الأسود عنها لتجلس بقميص ساتر أبيض طويل وشعرها كان طويلًا جدًا، وربطته بعد ذلك بلفافة بيضاء على شعرها بشكل عشوائي ومعها الممرضة.

- كم كان عمرك حينها؟

- ست سنوات تقريبًا، وأكملت عامي السابع وأنا متعافٍ في بيتي.

- أكمل وماذا حدث؟

- قالت لي سوف أقول بعض كلمات وتتلوا بعدها ما أتلوه.

- هذه الفتاة هي ابنتي يا يوسف.

- ابنتك؟!

- لا تتعجب.. إنها مجدون، لكن أراد الله أخذها عنده هي وأختها وزوجها وابنها جزاء حادث طريق بعد شفاءك.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. عظّم الله أجرك فيهم جميعًا.

- لا لا تحزن إنهم أحياء عند الله، الشيطان أراد عقابي لأني جعلت ابنتي تطلق عليك ما يحجب عينه عنك ويمنع الأذى والبلاء عنك ويجعل الصحبة الجيدة رفيقة لك، أتعلم ما هو نوع مرضك؟

- الأطباء احتاروا في تشخيصه.

- نعم.. وذهب مثلما جاء.

- صحيح.

- إنهم الرماديون، يريدون قتل أولادنا، والصفقة القذرة اشترك فيها الجميع بمعاهدات خفية لأخذ الأطفال ذوي النور لقتلهم، كم طفل يخطف؟.. وتجارة الأعضاء تزدهر يومًا بعد يوم.

- كثيراً ولكنها تجارة.. إنها حقيقة.

- ولم يكون الخطف محصور في الأطفال وصغار الشباب؟

- لا أعلم.

- لأن معظم أولادنا مثلنا

- كلام عجيب.

- يمكن أن تجد المجدون في إحدى أحفادك وليس أبناءك، كما حدث مع جدك، أمك فقط مجدون ثم أنت فقط.

- أنا آسف لما حدث لابنتك.

- لا تتأسف.. لقد عوضني الله بطارق ومعه الآن طفل جميل.. لا أنكر أنني

أخاف عليه لأنه مثلنا، وهذه وصيتي يا يوسف لك، كما حميتك وجعلت صديقك يرسل لك عبيد، اعلم أن طارق ابن ابني في رقبتك إلى يوم ميعادك وإذا كتب النور لأخ أو أخت له، لا تتركهم أبدًا، والآن استمع إلى الرقية ولا تحضر عائلتك إلا عندما أخبرك بذلك.

- حسنًا.

خرج ألحاج عصام و جلست ووضعت الذاكرة بالهاتف ووضعت سماعة الأذن و استمعت إلى الرقية، وفي بادئ الأمر قال الراقي إنها اختبار.. وأنني مجدون، عيني أغلقت ووجدت نفسي طفلًا صغيرًا وأمامه رجلًا بشع يغطي رأسه بعباءة سوداء وحرق يدي اليسرى وعندما أفقت وجدت بالفعل العلامة، الغريب أنها كانت موجودة ولم ألحظها أو أهتم بها، أكملت رقية الشيخ وغرقت في نوم عميق ورأيت بمنامي يدي ترتفع ومكتوب عليها كلمات أهمها اسم نبي الله محمد و لفظ الجلالة الله، أما باقي الكلمات بكف يدي لم أستطع قراءتها، كل واحد منا يوجد به علامة لتؤكد أنه مجدون وتخصه وحده، ونحن نرى ونسمع أنهم يقتربون منا ليشتتوننا، تسألني من هم؟.. إنهم الجن وأبناء الرجيم منذ قديم الأزل عقدوا الصفقة في الخفاء مع شياطين الأنس.. نحن مطموسون لكن حان الوقت لأعلم من أكون، بحثت عن لفظ لم أذكره لك، ووجدت أنهم وضعوا هذا اللفظ لتشتيتنا.. نحن ندعي مجدون وليس لنا أسماء أخري، بحثت وعلمت كم الضلال والكذب المضلل وأطفالنا المعرضون للقتل بواسطة المشعوذين المتصلين بالجان الكافر أبناء الشيطان لاستخراج الكنوز المدفونة بالمقابر، أري مقابر الفراعنة بأحلامي دائمًا.

جاء الحج عصام في اليوم التالي و قصصت عليه ما رأيت وفرح كثيرًا وقال:

- لا تقص على أحد مما رأيت واعلم أن ما بيدك يخصك وحدك، وغدًا ستسمع وتري العجب وستجد لك جنود الله الصالحة تقترب منك من الجن والإنس، توكل على الله دائمًا وخذ هذه الرُقى و اسمعها على وضوء وطهارة دائمًا، استغفر ربك يوميًا ألف مرة، وقل يا حي يا قيوم ألف مرة، لإزالة

النحس والفقر عنك، جرّب وادعُ لعمك عصام وأمك وجدك وعبيد بالخير لأننا بجوارك إلى يومك هذا، ويجب عندما تكتمل أن تقسم بأن تحافظ على كل طفل مجدون حتى ولو لم يكن من نسلك.

- أعدك بهذا.

توالت الزيارات وأصبحت لا أخاف شيئًا وعلامات يدي تكتمل وقلبي أصبح أكثر اطمئنانًا.

****

فاطمة «مجدون»

أقفلت أوراق جدي وأنا أفكر، أخذتك أيها القلم حتى أعلم إجابة سؤال لم يفارق عقلي منذ بدأت أقرأ كلمات جدي يوسف.. لماذا العمل والفراق ووجود النفس بعد ما علمت أنني مجدون؟ لم القوة كأنني فتاة بالعشرين وإحساس روحي بأنني طفلة ولست امرأة كهلة؟

لأجدك أيها القلم تكتب لتوضح لي...

«عندما يعلم الشيطان وأعوانه من الجان والإنس بفك العقد المرصود للمجدوني، يحاول جاهدًا امتلاكه بكل الطرق لتحويله له ليكسب المعركة المنتظرة وأنتم يا معشر النساء أقوياء روحيًا، ومعظمكم تمتلكون الجمال والحسن والقبول عند الجميع وشعركم يشيب متأخرًا وللأسف أنتم أكثر أهل النار لضعف ماهيتكم»..

فعلمت الإجابة وفهمت أن الشيطان لن يتركني أبدًا، حتي أكون قاتلة أو مقتولة تحت عباءته الملوثة بالهلاك، نزلت القبو ووجدت صندوقًا به مسبحة من الزمرد الخالص ومعه خطاب من جدي يوسف لي، سأمسك الأوراق المبتلة لأكمل اللحد المنتظر أيها القلم الحبيب..قال جدي في خطابه...

«بدأت البحث عن المجدون لنعرف بعضنا البعض فقط ونحافظ على

الأطفال من بعيد وتوفير الحماية لهم وكتبت أسماءهم لإزالة معالمهم أمام الشيطان وابنه وأعوانه، نحن لا نعلم ماذا سيحدث غدًا، نحن مسالمون مؤمنون، علمت أن تلبس الجان الشيطاني بالإنسان لضعف نفسه ومرضه النفسي أيضًا، أصبحت معالجًا مع الشيخ عبيد وأحضرت عائلتي للمنزل ومحمد أخي تزوج من امرأة عربية جيدة، جعلت الكل يحبها ويحترمها رغم صغر سنها وزوجتي وفاء غارت منها كثيرًا، وأشعلت فتيل النميمة لكنني خيرتها بين الصمت وعدم النم أو الرحيل وترك الأبناء، وللأسف ماتت ابنتي الصغرى مقطوعة الرأس من أحد الدجالين بسبب غيرة زوجتي، فأخذت الأبناء إلي بيت أمها، ولم ترعَ فاطمة الصغيرة جيدًا.. كانت تشبهني، وللأسف لم تحتمل وفاء الصدمة وماتت بعد فترة قصيرة من الوقت، لأنها كانت تلوم نفسها بسبب أن فاطمة الصغيرة مولودة وعلى كفها لفظ الجلالة فقالت لأحد النساء ما وجدته بابنتنا، ووصل الخبر لأحد الدجالين وكان ما كان، بسبب غيرتها وعدم كتم أسرار بيتها.. ماتت فاطمة الصغيرة ابنتي، بعدها بفترة تزوجت بجدتك بإصرار من محمد لترعى خالك وخالتك في غيابي، وأنجبت أمك أمينة التي سميتها كذلك تيمنًا باسم أمي الحبيبة، فكانت قرة عيني، ولم أظهر حبي لها أمام إخوتها حتى لا يضمروا بأنفسهم السوء، فهم أيتام منكسري النفس والروح، اقترح محمد عمل مشروع تجاري أقوم بإدارته بالوطن لأن عمله بالخارج لا يستطيع تركه، وكان مصنع المشغولات اليدوية بداية ربح وتجارة مثمرة، وأصر محمد بخروج عشرة بالمائة للفقراء والمساكين وأنا أيضًا أخرجت مثله، نهرني كثيرًا لأنني أحتاج للمال.. رفضت، كل شهر كنت أضع في حسابه البنكي أرباحه من المصنع، أما أنا زادت أموالي وقمت بإنشاء مصنع مجاور وتركته لأبنائي من وفاء، فهذا حقهم وبنيت بيتًا يبعد بضع أميال ليقطنوا به وأغلقت المصنع بعد وفاة محمد وأعطيت لزوجته ما يكفي لأجل روح ومحمود، محمود أبوكِ مجدون تربى تحت رعايتي لإنهاء تعلمه، فأمه - جدتك - تغير حالها كثيرًا، وأصبحت شحيحة جدًا رغم ما تمتلكه، وكانت صدمة روح ومحمود هو زواج أمهما، تركت الأطفال لي وعندما سألتها عن مالهم قالت أنها أنفقته، صمتُ.. يكفي أنهم أيتام، زوّجت روح لطارق حفيد عصام ومحمود لأمك، وأنجب طارق علي

وسافر إلي الخارج قبل ولادة علي، وأنا أعلم أن طارق ذكي ولن يتركك أبدًا هو وعدني بذلك، لا تنسي أن تزوري أهلك يا فاطمة، أعطيت أمك هذا البيت ليكون لكِ بموافقتها ورضاها وسماحها لهذا القرار، وأعطيت لأخيك وأختك مالًا كهبة لهما، وذهبت إلى الله أنا وجدتك ليس معنا مالًا أو ميراثًا يقتل الأبناء أنفسهم عليه.

****

تعبت كثيرًا عندما قرأت خطاب جدي وارتباط الجميع والحفاظ عليها بالخفاء، اتصلت بعلي مرة أخرى وقلت له:

- لمَ لم تقل بأنك قريبي من قبل؟

- رفض أبي ذلك وعندما تكونين مستعدة، فالعائلة بانتظارك.

أغلقت الهاتف بعد الترحاب والتساؤل لا يترك عقلي.. هل ستنتهي حياتي مثل جدي أبحث عن المجدون وأحافظ عليهم لليوم المنتظر، أم ماذا أفعل؟ التساؤل يحاوط عقلي؟.. تبقت بعض الكلمات في اوراق جدي، أتعلم أيها القلم.. إن الخوف يتملكني لكنني سأكمل آخر الكلمات.

« الرجيم سبب قتل أبناء المجدون حتى لا يقفوا في وجهه يومًا ما هو وابنه الدجال، لهذا نحن نخفيكم اليوم لتزدادوا ولا يعلم أحد عنكم شيئًا.. لكِ مني سلامي وبركتي يا فاطمة»

انتهت الأوراق وعلمت من أنا، وعلمت أن الشريحة لن تضعفنا، وأن لنا مخرج من مكائد الشيطان، وأن حكمة الله أقوي، لكن ماذا سوف يحدث لي؟.. لا أعلم.. كل الطرق مفتوحة.. غدًا عيد ميلادي الخامس والأربعون وابنتي ستتم الثانية والعشرون.. سأذهب إلى النوم لأراها غدًا وأرى آدم.. كم أتوق لرؤيتهم، أحس بداخلي أنني لست أمًا، لأنني تركت أبنائي لكنها كانت رحلة عرفت فيها من أنا، استعدت فيها نفسي، ذهبت وأخذت هاتف جدي قديم ولكنه يعمل جيدًا، واستمعت إلى الرقية وأنا أمسك المسبحة المصنوعة

من الزمرد، الرقية من القرآن في هذا الوقت بصوت هادئ مريح، صليت كثيراً بدون انقطاع، وجدت العلامة بكف يدي اسم محمد ظاهر ولفظ الجلالة على مرفق يدي كأنه ختم، الغريب أنني أرى مقابر الفراعنة ونقوش مثل جدي.. هل من علامات الساعة حقًا؟.. فتح كل القبور لذلك أراها بأحلامي أم إنه إغواء من الشيطان لنحري أمام أحد المقابر، أغلب الناس سيقولون أن الجنون انتابني فقمت بالبحث وعلمت أن المجدون وجدوا بأواخر القرن العشرين، وقفت وعلمت أننا في حرب، المجدون خلقوا بالعالم أجمع.. منهم مَن سيطر عليهم الشيطان ليدخل الحرب القذرة، إنهم يوهموننا دائمًا بنهاية العالم، لكن جدي قال بمذكراته كلمات لم أفهم معناها إلا اليوم قال:

«لا تتوهم أن الحياة ستنتهي بعد الملحمة الكبرى، سينزل الله التوحيد ليعطي الله آخر فرصة للإنسان، والشيطان سيبقى بعد هزيمته وستضعف شوكته، لكنه لن ييأس حتى يزج بنا جميعًا إلى حافة النار حتى آخر يوم للبشر على الأرض إلى النفخ في الصور».

فهمت المعنى.. فهمت من أكون لكن الخوف من الحرب ينتابني، أحيانًا أشعر بأن جسدي يتكسر، في الفترة الماضية ظهر شاب وسيم يلتف حوله الجميع.. شعره أسود طويل، ولديه لحية يدعي خفة اليد، لكن ما فزعني عندما طار في الهواء.. يرتدي شيئًا غريبًا على رقبته.. لم أقتنع أنها خفة، وجدت موهبتي وهي مثل جدي الأكبر قراءة الجباه، أرى اسم الجلالة أو نارًا أو علامات تدل على السحر والشعوذة، حاولت التركيز أكثر علي جبينه لكن لم أرَ شيئًا، ولكنني ركزت على عينيه كثيراً حتى حلمت به يجلس على كرسي وينحني كأنه ينازع أو يحارب شيئًا ما بداخله ويرتدي زيًا أسود اللون وينحني على الكرسي ممسكًا بيده بقوة، فهمت من يكون، رأيت غيره الكثير لكنه الوحيد المنتشر انتشار الهشيم وسيصل إلى الجمع غدًا.

****

ذهبت للنوم لأرتاح قليلًا، سمعت طرقًا على الباب وخيل إلي أنني أرى ظلًا يحوم حول المكان، فكان القرآن هو الحل، وفي اليوم التالي وجدت كلمات تنقش وكتب فيها «أنا الشيطان.. لن تستطيعوا الانتصار علي أبدًا.. أنتم أضعف من أصغر أبنائي».

ضحكت بصوت عالٍ وقلبي لم يخف منه، لا أعلم كيف واتتني هذه الجرأة لكني علمت أنني مجدون..

ومن هذا اليوم وأنا ألتزم الرقية وأرى دائمًا وأسمع أشياء غريبة، لكنني لم أنفصل عن الوقع مثل قبل، أصبحت أكثر قوة وصلابة، عزيز تزوج من امرأة تصغره بعشرين عامًا، وابنتي تزوجت شابًا يكبرها بعامين، لكنهما اختلفا أصبحا أكثر عصبية، أما آدم فسافر لحبيبته، وأنا أصبحت أبحث عن المجدون، أنا وعلي والعم طارق أصبحنا نلتقي كثيرًا وعددنا يزداد كل يوم، نحن نحافظ على أبناءنا، والبيت أصبح مكانًا للاجتماع، وعندما يأتون لا يأتون من الطريق الملعون وأنا لم يأخذني الفضول يومًا لمعرفة سر الطريق، كل ما أرّق عقلي هو الجحود الذي تملك أبنائي بسبب اللعين وأنا ألتمس الأعذار، فهم يتذكرون دائمًا أنني تركتهم في أهم وقت احتاجوني فيه، حتي عزيز بعد الندم أصبح دائم الذم فيّ، يتصل ليذم ويسب حتى حظرت أرقامه، فتجرأ يومًا وقدم إلى البيت، لكن عم طارق وعلي أوقفاه عند حده وابتعد عني للأبد.. أدعو الله لهم دائمًا لكنني أعلم ما بهم من شر.. الغريب هو القوه البدنية التي اكتسبتها، فيدي أصبحت أقوى.. أتعلّم الآن فنون القتال في هذا العمر كأنني في عمر العشرين.. لهذا «نحن المجدون وغدًا ننتظر».

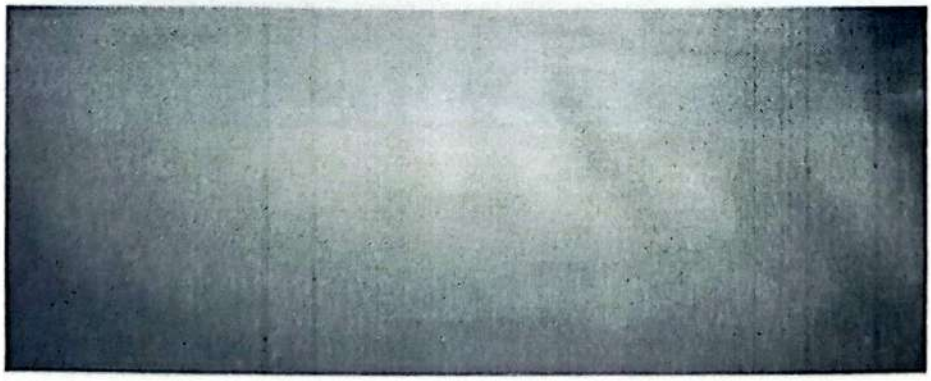

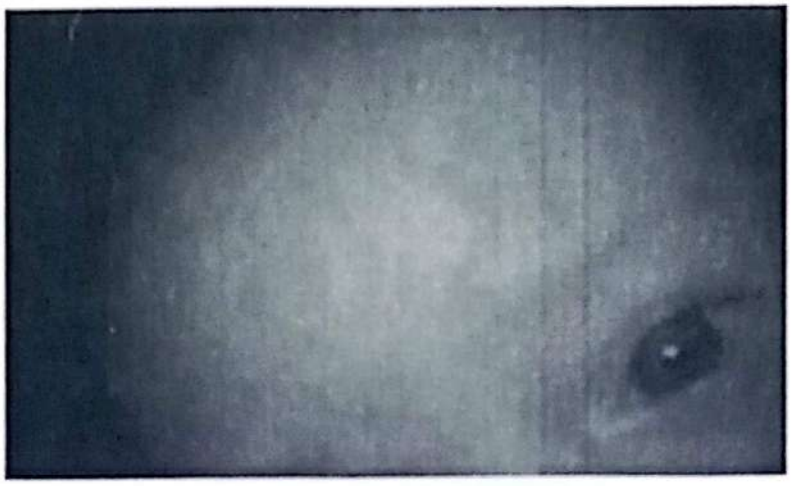

تمت بحمد الله